سوريتنا

تتأصل المدنية بالوعي

السنة الرابعة / العدد ٣٨ / تموز وآب ٢٠١٧

أطفال الأيزيديّين...ألغام «داعش» المَوقُوتَة!

سياحة المفاوضات السوريّة - السوريّة

فرنسا في الصراع السوري..
هل كانت يوماً «الأم الحنون»؟

عدسة: أنس الخولي

الفهرس

ملف..... ص ٤

فرنسا في الصراع السوري..
هل كانت يوماً «الأم الحنون»؟

- الأزمة السورية والمفاجآت الفرنسية..
سيرة التخبط السياسي للحكومات الفرنسية المتعاقبة
- نشطاء سياسيون سوريون في فرنسا
- سوريو فرنسا.. لجوء «خمس نجوم» وصعوبات في الاندماج

حوار..... ص ١٤

مجلة «صور» تحاور الناشطة في تجمع نساء سوريا من أجل الديمقراطية أميرة حويجة

رأي..... ص ١٨

- نماذج من التفكير في السياسة وغيرها
- في المسألة «الطـائفيّة»

إيقاع العدسة..... ص ٢٢

تحقيق..... ص ٢٤

أطفال الإيزيديّين... ألغام «داعش» المَوقُوتَة!

تقرير..... ص ٢٨

مراكز لتأهيل ودمج ذوي الاحتياجات الخاصّة

نافذة على الحقوق..... ص ٣٠

حرية المعتقد والردّة الدينية في الدول ذات الغالبية المسلمة

اقتصادية..... ص ٣٢

سياحة المفاوضات السورية ـ السورية

بورتريه..... ص ٣٧

فدوى سليمان الفنانة والثائرة.. إلى أين؟

ثقافة..... ص ٣٨

العرض المسرحي السوري «اختطاف»

سينما..... ص ٤٠

فيلم منظر في السديم Landscape in the Mist

الديك..... ص ٤٢

الطيب تيزيني.. مرة ثانية يا أبي

صور

تتأصل المدنية بالوعي

مجلة شهرية مستقلة تعنى بالشأن المدني وحرية التعبير وحقوق الإنسان

للتواصل وإرسال المساهمات والمقترحات
Email: info@suwar-magazine.org
Facebook: suwar-magazine
website: www.suwar-magazine.org

المقالات المذيلة بأسماء أصحابها تعبر عن آرائهم ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة أو فريق التحرير

المأساة السورية فيما وراء السياسة والحرب

بعيداً عمّا يتم التركيز عليه في وسائل الإعلام عن الوضع السوري، وما يصرّح به المعارضون والنظام وما بينهما من قوى سياسية ومنظمات مجتمع مدني وشخصيات ثقافية ومنصات وغرف تتشكل هنا وهناك للتداول في القضية السورية بهدف إيجاد حلول لها في كل من جنيف وأستانة، وبعيداً عن غرق سوريا في وحل التدخلات الإقليمية والدولية، حتى أصبحت ساحة مفتوحة لتصفية الحسابات. فإن المأساة السورية قد بلغت أبعاداً أكبر مما يتخيله السياسيون والإعلاميون. وإذا كانت الحرب والسياسة يمكن التعامل مع مجرياتهما وإيجاد حلول ومخارج لآثارهما المباشرة، فإن الخراب الاجتماعي والإنساني الهائل الذي تخلفانه ينذر بكوارث اجتماعية وإنسانية بعيدة المدى.

بقليل من التعمق في المشكلات المحلية في كل منطقة سورية يمكن للمرء أن يطّلع على هول المصائب التي تشهدها من عمليات خطف وإتجار بالبشر، مروراً بتسرب الأطفال من المدارس أو خضوعهم لتعليم متطرف دينياً، وصولاً إلى تجارة المخدرات والأسلحة، التي باتت العدد من المدن السورية أسواقاً مفتوحة لها.

عمليات الخطف باتت تمس كيان المجتمع السوري ووجوده، وتهدده بحروب مستقبلية، خاصةً إذا كانت هذه العمليات تتجاوز حدود المدن والمحافظات لتخلق حساسيات ما بين المناطق المتجاورة، أو بين المكونات المختلفة التي تعيش في المنطقة نفسها، والتي تعاني في الأساس من هشاشة العلاقات المتبادلة.

المعلومات التي تصل من عدة محافظات عن عمليات الخطف التي تحدث وسط الفوضى التي يعيشها المجتمع السوري تهدف إلى إثارة الرعب حيناً، والفتنة في أحيان أخرى في هذه المنطقة أو تلك، ومن المؤكد ان هناك أيادٍ خفية تديرها لمصلحة بعض الجهات الأمنية أو السياسية بهدف تحقيق مكاسب سياسية، أو توفير موارد مالية للحروب التي تخاض في سوريا.

وهذه العمليات تكاد تكون منظمة وتتم بشكل علني، يمارسها عناصر النظام ومليشيات الدفاع الوطني على الحواجز في مناطق سيطرتها، كما تمارسها المليشيات والفصائل المرتبطة بالمعارضة في مناطق نفوذها، وتتراوح اهدافها بين الحصول على المال، إلى تبادل المخطوفين المدنيين بالعسكريين الأسرى لدى الجهة المقابلة.

الانهيار القيمي والحضاري في البلاد يجعلها ساحة لممارسات همجية كان تخيلها غير ممكن فيما مضى. وإذا نجح السياسيون يوماً ما في وضع حد للحرب السورية فهذا لن يعني تلقائياً نهاية المأساة، بل سيكون علينا أن نواجه واقعاً اجتماعياً مهلهلاً، وجيلاً كاملاً من الأطفال الذين تربوا في ظل الحرب والعنف والانهيار الأخلاقي والتعصب الديني والطائفي، والكثير منهم لم يحصل على أي تعليم حقيقي. وأورثته ظروفه الحيانية الكثير من الأحقاد والعقد والرغبة في الثأر.

سوريا تحتاج إلى ما هو أكثر من العمل السياسي لإنقاذ ما يمكن إنقاذه ضمن شروط هذا الواقع المرير...

فرنسا في الصراع السوري..
هل كانت يوماً «الأم الحنون»؟

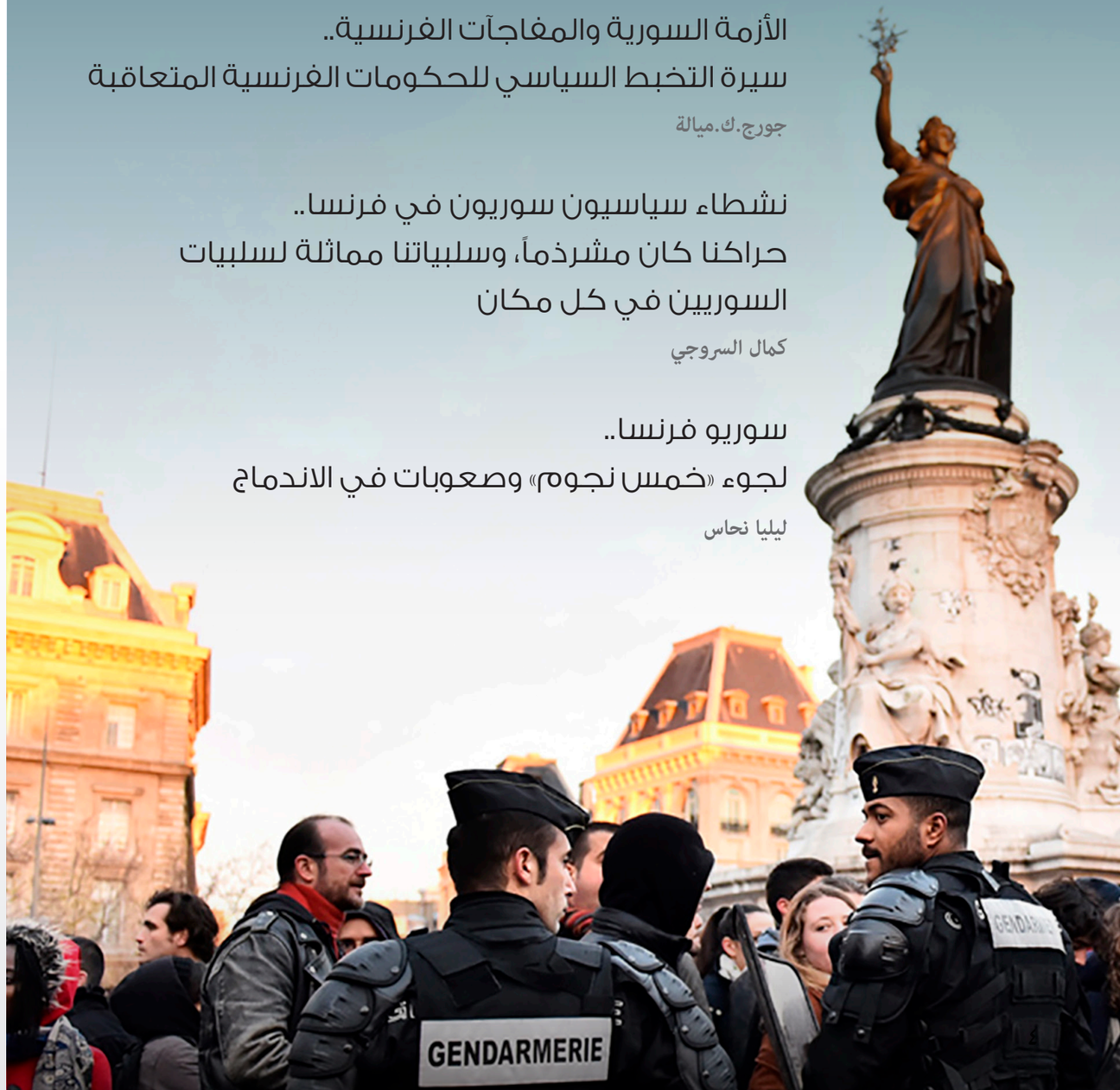

الأزمة السورية والمفاجآت الفرنسية..
سيرة التخبط السياسي للحكومات الفرنسية المتعاقبة

جورج.ك.ميالة

نشطاء سياسيون سوريون في فرنسا..
حراكنا كان مشرذماً، وسلبياتنا مماثلة لسلبيات السوريين في كل مكان

كمال السروجي

سوريو فرنسا..
لجوء «خمس نجوم» وصعوبات في الاندماج

ليليا نحاس

الأزمة السورية والمفاجآت الفرنسية..
سيرة التخبط السياسي للحكومات الفرنسية المتعاقبة

جورج.ك.ميالة

ألقى وزير الخارجية الفرنسي آلان جوبيه في نيسان ٢٠١١ بمعهد العالم العربي بباريس خطاباً نارياً حمل توجهات جديدة للاتحاد الأوروبي، الذي تشكل فرنسا أحد أهم دوله، فيما يتعلق بالعلاقات مع العالم العربي، ذكر فيه إنه على الغرب أن يقبل حكم الإسلاميين، طالما أن الأمر يتم وفقاً لإرادة الشعوب، وشدد على أن فرنسا والغرب يجب عليهم مساعدة المطالبين بالحرية على إسقاط الأنظمة القائمة، حتى ولو تطلب الأمر تدخلاً عسكرياً. هذه النظرة الجديدة للعالم العربي، لاقت وقتها استغراباً كبيراً من دوائر صنع القرار في فرنسا، في بلد يعتبر قلعة العلمانية الأولى في العالم.

وتنفيذاً للرؤى الجديدة، تبنى الرئيس الفرنسي نيكولا ساركوزي، الجمهوري الهوى، والذي ترك الرئاسة الفرنسية في أيار ٢٠١٢، سياسة صارمة بقطع العلاقات مع النظام السوري، ولم تتوقف الحكومة الفرنسية عن مطالبة بشار الأسد بالتنحي، حيث قدمت فرنسا لمجلس الأمن العديد من المشاريع الداعية لإدانة النظام وضرورة محاسبته، وتأمين الظروف للتصدي للأزمة الإنسانية المتفاقمة، إلا أن هذه المحاولات باءت بالفشل، ولم تتمكن من تحقيق نتائج حقيقية، نتيجة لاعتراض الدول الأعضاء الأخرى.

وخلالها تحولت باريس لملجأ وملاذ آمن للمعارضة السورية، ورحبت بالكثير من اللاجئين السياسيين والإنسانيين، ودعمت تشكيل المجلس الوطني السوري في الثاني من تشرين الأول ٢٠١١، وكانت من أوائل الدول التي اعترفت به، وفي الأثناء انتقل الدعم السياسي إلى العمل العسكري عبر تسليح فصائل من قوات المعارضة وتمويلها والدفاع عنها إعلامياً وسياسياً.

ومع وصول الرئيس الاشتراكي فرنسوا أولاند لسدة الحكم، بقي الخطاب الحكومي عالي اللهجة، بل تطور لتكون فرنسا أكثر المدافعين عن الثورة السورية، خصوصاً بعد استخدام السلاح الكيماوي في غوطة دمشق في آب ٢٠١٣، ما جعل الحكومة تؤكد ألا رجعة عن إسقاط نظام الأسد ومحاسبته، رافق ذلك زيادة الدعم المقدم للمعارضة، وخصوصاً للائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة، الذي أعلن عن تشكيله في تشرين الثاني ٢٠١٢.

تطور الأحداث في سوريا، وتمدد تنظيم داعش على مساحات واسعة شرقي وشمال شرق سوريا، وموجة التفجيرات الإرهابية التي ضربت باريس وغيرها من المدن الفرنسية، إضافة للهجرة غير الشرعية، وصعود تيارات واسعة معادية للمهاجرين، والتي اعتبر الكثيرون تشكل تهديداً للاتحاد الأوروبي وخطراً يهدد مستقبل الوحدة الأوروبية، كل هذه الأحداث العاصفة لم تفلح في تغيير موقف الحكومة ضد نظام الحكم في دمشق، لا بل قوبل من زار بشار الأسد من برلمانيين فرنسيين وصحفيين بموجة استهجان كبيرة، رغم أن هناك تأكيدات أن الصلات لم تنقطع بين أجهزة الاستخبارات الفرنسية والسورية في ملف الجهاديين والإرهاب.

الضغط الداخلي والخارجي على حكومة أولاند دفعه للدخول في الحرب على داعش مع التحالف الدولي، عبر تنفيذ ضربات جوية راح ضحيتها المئات من المدنيين في كل من سوريا والعراق.

ترى الخارجية الفرنسية أن الفوضى السائدة في سوريا تزعزع الاستقرار في المنطقة بأكملها، وتؤمن بيئة ملائمة لأنشطة وتدريبات المنظمات الإرهابية، إضافة لتوسع مأساة

اللاجئين الهاربين من داعش، وبشكل رئيسي من همجية النظام السوري، هذا الواقع يهدد الأمن الفرنسي مباشرة، لأن الجهاديين يأتون من سوريا والعراق.

وبالمقابل يرى آخرون أن مصدر القيادات الجهادية ليس من سوريا والعراق، بل هم أوروبيون يسافرون لتلك المنطقة لتنفيذ أجنداتهم، وبالتالي يجب على فرنسا حل مشاكلها الداخلية ومعالجة الأسباب التي تدفع أبنائها للانخراط في هذه الجماعات.

شاركت فرنسا بقرارات مجلس الأمن القاضية بضرورة إيجاد حل سياسي في سوريا، وسارعت الأوساط السياسية الفرنسية للتأكيد على أن الخطوات العسكرية مهمة لكنها غير كافية، وأن التصدي لمخاطر ضياع الشرق الأوسط يتطلب إيجاد حلول سياسية، تومن الأساس لإعادة وحدة سوريا، من أجل محاربة تنظيم داعش، مع ضمان عدم وجود أي خطة لتكريس حكم نظام بشار الأسد، وأكدت أنه من غير المعقول التوصل لأية تسوية سياسية مع رجل مسؤول عن هذا الكم الهائل من جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية.

> فرنسا دخلت مرحلة جديدة برئاسة إيمانويل ماكرون، الذي كسر التوقّعات، وألغى الأعراف السياسية الفرنسية التقليدية، وأطلق تصريحاً غريباً، قال إنه لا يرى أي بديل شرعي لبشار الأسد، وإن فرنسا لم تعد تعتبر رحيله شرطاً مسبقاً لحلّ الصراع

في المقابل، يقول مراقبون أن الفرنسيين طالما عودوا العالم العربي على المفاجآت السياسية، فالرئيس جاك شيراك استقبل بشار الأسد استقبال الرؤساء في قصر الإليزيه، قبل تسلمه الحكم، وتعاون مع النظام السوري في مجلس الأمن الدولي للوقوف ضد الحرب على العراق عام ٢٠٠٣، ما جعل فرنسا وقتها تدفع ثمناً باهظاً لعدم دعمها للتحالف الدولي لاحتلال العراق، تمثل بعزلة غير معلنة من الولايات المتحدة مستمرة حتى الآن. كما قام خلفه ساركوزي بكسر العزلة الدولية عن نظام الأسد، بعد الاتهامات الكثيرة التي وجهت للنظام في قضية اغتيال رئيس الوزراء اللبناني رفيق الحريري، صديق فرنسا المقرب. إلا أن ساركوزي غير موقفه من النظام مع اندلاع الثورة السورية، وجاء خلفه أولاند ليقول قبل مغادرته الإليزيه، إنه يترك الرئاسة وفي نفسه غصة لأنه لم يردع نظام الأسد المجرم ولم يستخدم السلاح ضده.

إلا أن فرنسا دخلت مرحلة جديدة برئاسة إيمانويل ماكرون، الذي كسر التوقعات، وألغى الأعراف السياسية الفرنسية التقليدية، وأطلق تصريحاً غريباً، قال فيه لثماني صحف أوروبية، إنه لا يرى أي بديل شرعي لبشار الأسد، وإن فرنسا لم تعد تعتبر رحيله شرطاً مسبقاً لحل الصراع، وأضاف أن الأسد عدو للشعب السوري لكن ليس عدواً لفرنسا، وأن أولوية باريس هي الالتزام بمحاربة الإرهاب، وضمان ألا تصبح سوريا دولة فاشلة.

أثارت تصريحات ماكرون، والتي جاءت بعد أيام على استقبال رياض حجاب رئيس الهيئة العليا للتفاوض، موجة سخط شديد من النشطاء السوريين في فرنسا، دفعتهم لتوقيع عدة عرائض تطالبه بتوضيح الموقف، كما قام سفير الائتلاف في باريس وغيرة من ممثلي الهيئة العليا للمفاوضات هناك بعقد عدة لقاءات مع أطراف في الحكومة الفرنسية لاسيتضاح التصريح وغاياته.

كما اتهم الكثير من الفرنسيين الرئيس ماكرون بأنه يقترب من الطروحات الروسية في الملف السوري، وأن تصريحاته تأتي في إطار التقارب مع روسيا وربما الدخول بمفاوضات ومقايضة الملف السوري بالأوكراني، وهذا بعيد كل البعد عن الموقف الثابت للحكومة الفرنسية بالنسبة للمأساة السورية. كما اتهموه بأن طروحاته تأتي في ظل حالة تخبط سياسي تعيشه حركته السياسية التي انتصرت انتصاراً ساحقاً ولا تملك برنامجاً سياسياً واضحاً للوضع الداخلي والخارجي.

وفق كل المعطيات السابقة والأمواج الهائجة التي تحرك فرنسا، يبقى السؤال الأهم: هل تكمل فرنسا مسيرتها الداعمة لثورة السوريين حتى تحقيق مطالبهم، والتي يراها كثيرون بأنها لم تكن جدية وكافية لتحقيق التغيير المطلوب، أم تغرق في ألاعيب السياسة الدولية؟

تفتح مجلة صور ملف فرنسا والثورة السورية بلسان نشطاء سوريين وفرنسيين من أصل سوري مقيمين فيها، وتستطلع أحوال اللاجئين والصعوبات التي يواجهونها في الاندماج بمجتمعهم الجديد.

نشطاء سياسيون سوريون في فرنسا

حراكنا كان مشرذماً، وسلبياتنا مماثلة لسلبيات السوريين في كل مكان

كمال السروجي

التقت «صور» عدداً من الناشطين السياسيين السوريين في فرنسا لسؤالهم عن واقع الحراك السياسي السوري هناك، والدور الذي لعبه في توضيح القضية السورية للرأي العام الغربي، وتقييمهم للدور الفرنسي في الأزمة.

نجوى سحلول ـ دكتوراه في علم اللغات، ناشطة سياسية

بدأ الحراك الثوري في مدينة ليون ثالث أكبر المدن الفرنسية، وأحد أهم المدن الاقتصادية الأوروبية، بدعوة من أربعة طلاب موفدين من وزارة التعليم العالي لوقفة احتجاجية بعد نحو شهرين من انطلاقة الثورة حضرها ١٥ شخصاً. واتسم الحراك خلال عامي ٢٠١١ و٢٠١٢ بالحيوية والأمل، حيث نظمت العديد من الأنشطة كالمظاهرات والاعتصامات، وبحضور فرنسي جيد، إضافة لحراك ثقافي كالمحاضرات والمعارض الفنية والحفلات الموسيقية للتعريف بالثورة السورية.

واكبت هذه النشاطات تطورات متسارعة في سوريا، ومع تعاظم الكارثة الانسانية تحول معظم النشطاء إلى العمل الاغاثي، الذي أصبح طاغياً على كل النشاطات، وتعبيراً عن انسداد الأفق السياسي.

يدين الفرنسيون بشكل عام وحشية النظام السوري في تعاطيه مع الشعب، ولكن لم تتحول هذه الإدانة لانخراط جماهيري واسع في حراك لدعم الشعب السوري، على خلاف تعاطي الشعب الفرنسي مع قضايا إنسانية دولية في الماضي كالحرب على العراق وأزمة كوسوفو وغيرها.

حمل السوريون منذ البداية مسؤولية إيصال صوت الثورة، وواجهت مهمتهم مجموعة من المصاعب، أبرزها غياب التجربة السياسية، وبالتالي عدم القدرة على تحليل الواقع والتفاعل معه، خصوصاً مع التقلبات المستمرة للأحداث، كما اتسم عمل معظم من شارك في البداية بالعاطفية وبالتشرذم رغم النيات الحسنة.

من جهته قام النظام بدعاية مضادة، وجند الكثير من المؤيدين له من سوريين ولبنانيين وجنسيات عربية أخرى متجذرة في المجتمع الفرنسي، وخاصة في الحقل الاعلامي وكذلك في الحقل السياسي والأكاديمي، الأمر الذ ي أثر على بعض الباحثين الفرنسيين، مما دفعهم لتأييد دعاية النظام منذ البداية.

لم تحظ الثورة بتعاطف القوى السياسية الفرنسية الرئيسية بالشكل المطلوب، على خلاف الحكومة التي بدى موقفها أكثر جذرية ووضوحاً. بالنسبة لبلد يضع العلمانية شعاراً له بل عقيدة، كان خروج المظاهرات في سوريا من الجوامع دليلا على توجهاتها الدينية البحتة، وتعزيزاً لبروباغندا النظام، وكل التوضيحات لم تنجح بإقناع الكثيرين من الفرنسيين بالعكس.

في جانب آخر لعب تسلح الثورة، ودخول المجموعات الإسلامية على الخط ثم ظهور داعش، والعمليات الإرهابية التي ضربت فرنسا، دوراً مثبطاً، جعل الحديث عن نضال الشعب السوري لنيل حريته أمراً ثانوياً، ما أدى لتعقُّد الوضع، الأمر الذي لم يساعدنا على تعبئة أعضاء فاعلين من هذه القوى السياسية والمجتمعية، فما بالك بجمهور فرنسي بعيد عما يحصل خارج حدوده. كل هذه الظروف الصعبة، لم تمنعنا من النجاح بتشكيل تجمعات مؤيدة للثورة تساهم فيها قوى سياسية ونقابية صغيرة.

نجوى سحلول

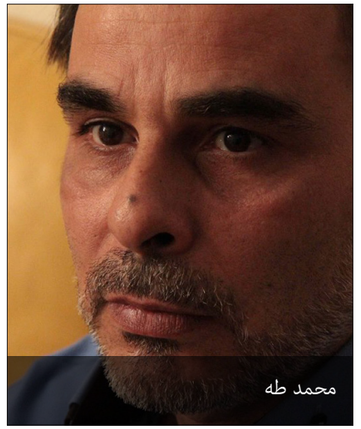
محمد طه

محمد طه - دكتوراه في الآثار
منسق عام تنسيقية باريس لدعم الثورة السورية

بدأنا منذ نحو ست سنوات العمل في تنسيقية باريس لخلق نقطة تظاهر ثابتة في العاصمة الفرنسية، لتكون مكاناً لتجمع الثوريين، واستمرت بزخم وحضور متفاوت. لكن سرعان ما اختفت هذه الجهود المؤسساتية، لتقع المسؤولية على عاتق أشخاص قدموا الكثير من وقتهم وجهدهم وحتى من مالهم، وتحملوا الكثير من الاستفزازات والمضايقات.

عجزت المعارضة السورية الرسمية حتى اليوم عن إيجاد مكان يجتمع فيه السوريون ويشكل نقطة إعلامية تعكس صورة الثورة في الداخل. ورغم هذا الفشل نجحنا على الأقل بتذكير المجتمع الفرنسي بأن هناك مكاناً ما على وجه البسيطة اسمه سوريا يتعرض لحرب إبادة، وأوصلنا جانبا من معاناة الشعب السوري.

مشاكل السوريين في باريس مشابهة لمشاكل السوريين في كل مكان، وتتلخص بتربيتنا لأكثر من جيل على التسلط والديكتاتورية، وعدم القدرة على العمل الجماعي أو المؤسساتي. ما يحتاج لدراسات نفسية واجتماعية وسياسية طويلة لتوضيح مواطن الخلل والعمل على تجاوزها.

حاولنا هذه السنة إعادة هيكلة تنسيقية باريس لإعادة الحياة بشكل أكبر للنشاط الثوري في فرنسا، إيماناً منا بأن الثورة السورية تمر بمنعطف خطير يتطلب من كل سوري حر أن يعمل بشكل مكثف لمناصرة الثورة.

بشر الحاج إبراهيم - دكتوراه في الهندسة
ناشط سياسي

فرنسا من أكثر الدول التي أعلنت تضامنها مع الثورة السورية وبقيت ثابتة على موقفها خلال فترتي نيكولا ساركوزي وفرانسوا هولاند. منذ البدايات كان خطها الدبلوماسي الذي تحدده وزارة الخارجية واضحاً. وتم تحذير السفارة السورية من مغبة التعرض للمعارضين، إثر تعميم أصدرته هذه السفارة طلبت فيه الوشاية بمن يدعم الثورة.

كما تم إعلان سفيرة النظام في باريس، لمياء شكور، شخصاً غير مرغوب به في فرنسا. ولكن لم يكن ممكناً إخراجها من البلاد بحكم شغلها لمنصب ثان هو سفيرة سوريا في اليونيسكو، ومقرها باريس.

الخطأ الأساسي الذي ارتكبته فرنسا هو دعمها الحصري للمجلس الوطني وبعده الائتلاف، مقابل دعم محدود للهيئات والمؤسسات الأخرى. وكان إعلان الائتلاف ممثلاً «وحيداً» للشعب السوري في فرنسا سيفاً ذي حدين: سهّل التعامل مع الائتلاف ومن انتمى إليه من مؤسسات، لكنه من جهة أخرى شكل حصاراً على أي تحرك للمؤسسات الموجودة خارج الائتلاف.

بشر الحاج إبراهيم

> كان خروج المظاهرات في سوريا من الجوامع دليلاً على توجّهاتها الدينية البحتة، وتعزيزاً لبروباغندا النظام، وكل التوضيحات لم تنجح بإقناع الكثيرين من الفرنسيين بالعكس

الكارثة الحقيقية التي أصابت الحراك السوري في فرنسا كانت الشرذمة والتشتت، وبدلاً من أن نكوّن تجمعاً واحداً ونعمل بشكل منسق، كان عدد الجمعيات يقارب المائتين عام ٢٠١٥، يحرك بعضها شخص أو شخصان فقط.

عرفنا فترة كانت باريس فيها تشهد اعتصامين أسبوعيين في نفس التوقيت ومكانين مختلفين، بدلاً من أن نكون جميعاً في اعتصام واحد ولدينا صوت واحد. أما النشاط الإعلامي فقد قام على مجهودات فردية، وهي مجهودات مشكورة وذات فائدة، لكنها لم تكن كافية للتأثير في الرأي العام، أو لرسم خط واضح ومفهوم من قبل الأغلبية.

نور خربوطلي

المكتب الإعلامي الأول للائتلاف كان مقره مدينة صغيرة بدلاً من أن يكون في باريس. ولم يكن حاضراً بقوة في المشهد الإعلامي في البلاد، والبعض لم يسمع بوجوده حتى اليوم، وعندما حاولنا تأسيس مكتب إعلامي ثانٍ، استقطب في البداية شخصيات سورية وفرنسية مرموقة إعلامياً وسياسياً، انهارت المبادرة، وقصة هذين المكتبين تحتاج إلى تقرير كامل، وشفافية وصراحة من قبل الائتلاف لتوضيح ما حصل.

كنا كسوريين مقيمين في فرنسا شبيهين بإخواننا الموجودين في سوريا من جهة التفرقة والصراعات، وقياساً بأهمية فرنسا كدولة عظمى ومصدر قرار دولي على عدة مستويات، كانت انتصاراتنا في المعارك الصغيرة، الإعلامية أو السياسية، غير كافية لنكسب الحرب الكبرى ضد النظام وحلفائه النشطين والمنظمين.

نور خربوطلي - مترجمة وطالبة دراسات عليا في العلوم السياسية
ناشطة سياسية

من الإيجابيات التي حققها النشاط الثوري في فرنسا، أنه شكل أفضل انعكاس للثورة السورية في أوروبا، من ناحية الأنشطة وحجم وطبيعة التظاهرات وقدرتها على ايصال رسائلها السياسية، كما كشف للمجتمع الفرنسي حقيقة الدور السلبي للمجتمع الدولي في سوريا، وهذا ما لم تعرضه الجاليات السورية في دول أوروبية أخرى.

ورغم ذلك لم يتمكن السوريون المعارضون من الوصول إلى المجتمع الفرنسي بشكل عام، فالتواصل بين المعارضة السورية والوسط السياسي الفرنسي كان محدوداً. ولذلك أسباب موضوعية، فاليسار الفرنسي مازال يعدّ النظام مقاوماً ممانعاً، واليمين يخشى على مسيحيي الشرق، فضلاً عن خوفه التاريخي من مشكلة المهاجرين.

تعددت توجهات السوريين في فرنسا مما أثر على وتيرة نشاطاتهم، فأصبحنا نجد أحياناً ثلاث مظاهرات في يوم واحد لدعم الثورة السورية بتوجهات مختلفة، بالإضافة لعدم وجود مقر أو مركز لتجمع الجالية السورية أو سفارة حقيقية تمثل المعارضة السورية، وعدم وجود مرجعية سياسية وتنظيمية حتى اليوم للسوريين في فرنسا.

الشباب السوري الناشط في فرنسا لم يتخل عن الثورة برأيي، ولكنه انشغل بمشاكل الحياة وصعوباتها، كإيجاد سكن ودراسة اللغة ومتابعة الدراسة الجامعية بعدها. وانشغل أيضاً بعيش خيباته على صعيد الثورة وعلى الصعيد الشخصي.

سوريو فرنسا..
لجوء «خمس نجوم» وصعوبات في الاندماج

ليليا نحاس

لا توجد أرقام دقيقة لأعداد السوريين المقيمين في فرنسا، وتغيب الهجرة الاقتصادية بالمعنى المحدد للكلمة بين السوريين، على خلاف ما هو سائد بين اللبنانيين ومواطني دول المغرب العربي، فقبل الثورة كان لا يمكن الدخول إلى فرنسا إلا بفيزا سياحية أو بهدف الدراسة، قسم من السوريين جاء بفضل بعثات دراسية من جامعات سورية ثم قرر البقاء والعمل، ومنهم من جاء على حسابه الخاص، إما بتمويل عائلي أو عن طريق ممارسة مهن مؤقتة، وكثيرون منهم انتهى الأمر بهم للعمل دون انهاء دراستهم. يضاف إليهم هجرة ثمانينيات القرن الفائت، بعد ملاحقات المتهمين بالانتماء إلى الاخوان المسلمين وغيره من التيارات السياسية، نتيجة القمع والتصفيات التي نفذها نظام الأسد الأب بحق معارضيه.

مع تعاظم الحرب التي يشنها النظام ضد أبناء المناطق الثائرة، وبدء موجة الهجرة غير الشرعية واللجوء، وصل بضعة آلاف من السوريين لفرنسا كطالبي لجوء، خصوصاً ممن يملك معارف وأقرباء في البلاد، أو ممن يتقن الفرنسية أو درس فيها.

تقوم الحكومة الفرنسية على خلاف بقية دول أوروبا، بقبول طلبات اللجوء عبر سفاراتها المنتشرة في العالم، وخصوصاً دول الجوار السوري كتركيا ولبنان والأردن، كما تعمل على استقدام العائلات عبر برنامج إعادة التوطين التابع للأمم المتحدة.

إضافة لذلك عملت منظمات وجمعيات فرنسية، وعلى رأسها مراسلون بلا حدود، على تبني الصحفيين السوريين، الذين يتعرضون للاضطهاد من النظام السوري والتنظيمات المتطرفة كداعش وجبهة النصرة، عن طريق تسهيل منحهم حق اللجوء.

صعوبات السكن

يعد تأمين السكن أبرز المشاكل التي تواجه السوري عند وصوله لفرنسا، فلا يوجد سكن مخصص لاستقبال اللاجئين (كامب) أسوة بالدول الأوروبية الأخرى، انطلاقاً من مبدأ أن اللاجئ حر في اختيار مكان إقامته ولا يجب تقييده بمكان للإقامة أسوة بالفرنسيين، في حين يرى آخرون أن هذا نتيجة للتقصير الحكومي.

بعد حصول اللاجئ على قرار لجوئه، تبدأ الجمعيات المختصة بمساعدة اللاجئين بالسعي لتأمين مسكن ملائم، عن طريق التسجيل بالسكن الاجتماعي، وهو سكن مخصص للعاطلين عن العمل من الفرنسيين أو ممن ليس لديهم القدرة على تأمين سكن خاص بهم، ونتيجة أزمة السكن الموجودة والتي يعاني منها المواطنون منذ أكثر من عشر سنوات، امتدت المشكلة لتشمل السوريين الواصلين حديثاً.

وتفادياً لهذه المصاعب، تطلب السفارة الفرنسية، ممن وافقت على طلبات لجوئهم وجود كفيل يقيمون عنده مؤقتاً، وفي حال تأمينه يتم السفر مباشرة، وعند غيابه على اللاجئ الانتظار حتى يتم تأمين سكن له، الأمر الذ ي يؤخر السفر فترة طويلة قد تمتد لتصل لعام كامل.

تقول السيدة أسماء برادعي للمجلة: «لولا وجود أخ زوجي هنا، وإقامتنا في بيته، لكنا فكرنا بالعودة إلى تركيا، من الصعب جداً أن تجد بيتاً تستأجره دون أن تملك عقد عمل. في باريس الكثير من أصحاب البيوت يطلبون أن تكون قيمة راتبك الشهري أربعة أضعاف الأجرة الشهرية، وهذا لا يتوفر عند الكثير من الفرنسيين فكيف لدى اللاجئين.»

وتتابع: «تدفع مؤسسة الضمان الاجتماعي حوالي ٦٠ بالمئة من أجرة البيت، ونحن ندفع الباقي إضافة لفواتير الكهرباء والانترنيت».

فيما تقول الناشطة الفرنسية ماريان كازينكا والتي تساعد السوريين في تحسين ظروف حياتهم الجديدة: «كثير من السوريين يرغبون في الإقامة بباريس، بالمقابل الفرنسيون يحاولون تركها نحو مناطق أخرى أكثر هدوءاً وأقل ازدحاماً، لذلك أنصحهم بالتوجه نحو المدن الأخرى، وخصوصاً إلى الأرياف التي يحمل أصحابها الكثير من الطيبة والتعاون الأهلي، على خلاف المدن المكتظة».

وفي المقابل تقوم عدد لا بأس بها من الأسر الفرنسية باستضافة اللاجئين السوريين في بيوتها ريثما تتحسن ظروفهم.

تروي الصحفية منى برهان تجربتها لصور قائلة: «وصلت مع زوجي وطفلتي الصغيرة، وكان لدينا كفيل ينوي استقبالنا، ولكنه سرعان ما

انسحب من الموضوع، ما اضطرنا للنوم لليلة واحدة في الفندق، بعد ذلك تواصلنا مع أحد الجمعيات في باريس، أمنت لنا الإقامة لمدة خمسة أيام في أحد الفنادق بشكل مجاني، بعدها تواصلت مع أحد العائلات المسجلة لديها والمصرحة برغبتها باستضافة السوريين، انتقلنا إلى مكان أشبه بالسكن الجماعي يتبع للحكومة، ريثما تجهز العائلة نفسها لاستقبالنا، وصلنا لمدينة كومبين شمالي فرنسا، وكانت العائلة في استقبالنا، أعطونا بيتاً صغيراً عبارة عن العيادة الخاصة لرب الأسرة الذي أصبح متقاعداً. بيتنا الجديد عبارة عن غرفتين وملحقاتهما، قاموا بتجهيزه بكل ما يلزم، ونحن مرتاحون معهم، هم أناس لطفاء جداً ومحبون، يرافقوننا في كل زياراتنا لإتمام أوراقنا بكل رحابة صدر».

وتتابع برهان: «سافرت العائلة في إجازة العطلة الصيفية، فقاموا قبل سفرهم بالاتفاق مع مجموعة من معارفهم لمساعدتنا ومرافقتنا في جميع تنقلاتنا ريثما يعودوا من عطلتهم، سوف نبقى عندهم حتى نحصل على قرار اللجوء، وتجد الدولة لنا بيتاً لنستقر فيه».

التعليم

يخضع الطلاب اللاجئون في المرحلتين الإعدادية والثانوية، لامتحان تحديد مستوى في عدد من المواد العلمية والأدبية، ثم يدخلون المدرسة ويخضعون لدروس مكثفة في اللغة الفرنسية إضافة للمواد الأخرى.

يقول علاء حسام الدين وهو أحد الطلاب المتفوقين هذا العام على مستوى الجمهورية في امتحانات البكالوريا لصور: «قسم من الطلاب تسير أمورهم الإدارية بكل سلاسة، وقسم آخر محروم من التعليم منذ أكثر من عامين دون أن يملك حلولاً».

ويتابع: «على سبيل المثال هناك عائلات جاءت لفرنسا من مخيمات اللجوء في لبنان ولم يدخل أبنائها المدارس منذ خروجهم من سوريا، فعندما كان الطالب في صف الثامن بعمر ١٣ أو ١٤ عام، أصبح عمره في فرنسا ١٧، ولا تقبل المدارس الفرنسية بتسجيله بسبب كبر سنه».

ويضيف: «هناك روتين قاتل في فرنسا، الأمر الذي يهدد مستقبل هؤلاء الطلاب بالحرمان من التعليم».

وبالنسبة للتعليم الجامعي، يلقى الطلاب السوريون تسهيلات تساويهم بالطلاب الفرنسيين، من ناحية المنح الجامعية وتأمين السكن الطلابي، بعد تحقيقهم شرط اللغة المطلوب.

يقول ربيع حاجو، طالب في كلية الاقتصاد للمجلة: «يتقاضى الطالب الجامعي مبلغ ٥٥٠ يورو، مع حسومات في أجرة السكن الجامعي، إضافة لوجبات طعام مجانية والتأمين الصحي، الأمر الذي يجعله مستقلاً عن أهله، تماماً مثل وضع الطالب الفرنسي، كما يمكننا العمل خلال عطلة الأسبوع لعدة ساعات من أجل تحسين وضعنا، ولكن ما تقدمه الجامعة من مساعدات كافية لمتابعة الدراسة».

أما في مجال الدراسات العليا فلا يتلقى اللاجئون السوريون أي معاملة خاصة، وعليهم منافسة الطلاب الفرنسيين للحصول على هذ ه المقاعد.

أما سلمى المقيمة في مدينة مونبلييه فتقول للمجلة: «أنا خريجة هندسة معلوماتية وبعد وصولي لفرنسا عام ٢٠١٤، تابعت دراسة الماجستير، وأرغب بمتابعة الدكتوراه، لكن لا يوجد أي معاملة خاصة لنا، يجب علي منافسة الفرنسيين، والأمر صعب، لأن نظام التعليم بسوريا مختلف عن فرنسا، إضافة لأن صعوبات اللغة تجعل أمر حصولي على مقعد الدكتوراه أقل احتمالاً».

الاندماج

يرتبط مفهوم الاندماج في المجتمع الفرنسي، بالدخول لسوق العمل بشكل أساسي، والذي يتطلب ما لا يقل عن ثلاثة أعوام.

ويعاني أصحاب الشهادات الجامعية من صعوبات في تعديل الشهادات، للسماح لهم بممارسة مهن كالطب والصيدلة وطب الأسنان والمحاماة والتعليم، والتي تتطلب في بعض الأحيان إعادة الدراسة بشكل كامل، للحصول على شهادة فرنسية والدخول بسوق العمل.

يقول الطبيب أحمد العمار: «أنهيت اختصاصي في طب الأطفال عام ١٩٨٥، واضطررت للجوء إلى فرنسا مجدداً عبر الأردن، تفاجأت أن شهادتي غير معترف بها هنا، وعلى أن أتقدم لامتحانات متعددة، فرص النجاح بها أقرب للمستحيل لشخص خمسيني مثلي، بعد ثلاثة أعوام نجحت في العثور على فرصة عمل مؤقتة بأحد المشافي دون تعديل شهادتي، ولكن لم أنل نفس المرتبة الوظيفية في العمل، رغم أنني أعمل مع فرنسيين كنا قد درسنا سوية».

في حين يجد الباحثون عن الأعمال الحرة تسهيلات أكبر، كأعمال التجارة والزراعة والصناعة والخدمات بعد اتقان المقدار الأساسي من اللغة، إلى جانب ذلك يمنع القانون الفرنسي ارتداء الرموز الدينية أثناء العمل، ما يشكل مانعاً للكثيرات من الانخراط في سوق العمل.

يقول محمد صلاح الدين المقيم في بلدة «باو» جنوبي غربي فرنسا لمجلة صور: «بعد عامين من وصولي، اكتشفت أن تعديل شهادة الحقوق وتأمين فرصة عمل تتطلب جهداً لا يقل عن خمسة أعوام، وأنا متزوج ولدي أربعة أولاد، قررت ترك مهنتي، والتوجه نحو العمل الحر، اشتريت سيارة شحن، وجهزتها ليكون فيها مطبخ صغير، وبدعم من مكتب العمل جعلتها مطعماً متنقلاً، كل يوم أستقر في أحد أسواق القرى المجاورة، أبيع المنتجات الشرقية، التي تلقى رواجاً كبيراً عند العرب وبعض الفرنسيين، تساعدني زوجتي في تجهيز وبيع المنتجات، فعملنا خاص ولا قيود على الحجاب في مثل هذا النوع من الأعمال».

وفي سياق آخر تسعى منظمات المجتمع المدني الفرنسية والنشطاء المتعاطفين مع اللاجئين لتعويض النقص الحكومي الحاصل في دعم اللاجئين عن طريق تنظيم أنشطة للتعريف بالمجتمع الفرنسي وثقافته، إضافة لطرق الحصول على العمل، وحملات توعية موجهة للمجتمع الفرنسي، لمواجه حالات العنصرية التي بدأت تظهر بقوة في بعض المناطق، إضافة لذلك تكثف الجمعيات جهودها لإعطاء دروس اللغة الفرنسية، والتي تكلف مبالغ كبيرة في حال أراد الشخص أن يسجل بها بمفرده.

سياسات جديدة

خصصت الحكومة الفرنسية الجديدة جانباً من خططها للتعامل مع ملف اللاجئين، بعد الانتقادات الواسعة لسياسات الحكومات السابقة بخصوص هذا الملف الشائك والجدي، وتشدد الحكومة على التفريق بين المهاجرين الاقتصاديين الذين يصلون من بعض دول إفريقيا والمغرب، وبين اللاجئين القادمين من دول الحروب كسوريا وأفغانستان، لهذا السبب تسعى لزيادة وتنظيم اللاجئين الوصلين للأراضي الفرنسية بطرق شرعية، وترحيل كل من يرفض طلب لجوءه على وجه السرعة، كما أقرت الحكومة خطة لتقليص المدة الزمنية للبت بقرارات اللجوء من ١٤ شهراً حتى ستة شهور.

ويعتبر ناشطون فرنسيون وسوريون يعملون في ملف اللاجئين من جنسيات مختلفة أن السوريين في فرنسا يحصلون على معاملة خاصة، يحصل من خلالها من يثبت أن عليه خطراً سياسياً على إقامة دائمة مدتها عشر سنوات، ثم يمنح الجنسية إن تمكن من الاندماج وتأمين عمل مهما كان نوعه، في حين يحصل الآخرون على حماية إنسانية لمدة عام قابلة للتجديد، وحديثاً يحصل الواصلون عبر برامج إعادة التوطين التابعة الأمم المتحدة، على إقامة مدتها عامين يتم تجديدها.

تقول إحدى الناشطات السوريات رفضت ذكر اسمها للمجلة: «عندما نقارن أوضاع اللاجئين السوريين، بالقادمين من إفريقيا أو أفغانستان، فيمكن أن نصف أوضاعهم بأنها خمس نجوم، لا يوجد تأخير في الحصول على الاقامات، ويتم البدء بمعاملات تأمين السكن فور الحصول على قرار اللجوء».

في حين يجمع لاجئون تحدثت معهم المجلة أن فرنسا من ناحية نوعية الإقامة والأوراق المدنية ومدتها هي من الأفضل في أوروبا، لكن من ناحية فرص العمل هي الأسوأ.

إلا أن للمنشقين عن جيش النظام رأي آخر، فهم يكابدون ظروفاً أقل ما توصف بالقاسية.

يقول أحد الضباط المنشقين لصور: «وصلت لفرنسا منذ ٣ سنوات، وللآن لم يتم البت بقرار لجوئي، حتى اللحظة أنا محروم من جميع حقوقي، عدا الإقامة المؤقتة وتعويض مالي بسيط لا يكفي لأسبوعين، أسرتي مازالت في مخيمات تركيا ولا أدري متى يتم اللقاء مجدداً «.

الفكر المعتدل بات ضعيفاً، أولاً لأنه فكر مساوم أقرب الى السلطة، وهذا ما يدركه النظام
التطرف الذي شهدناه بعد ٢٠١١ سببه ووجوده هو الاستبداد وغياب التنمية

مجلة صور تحاور اميرة حويجة الناشطة في تجمّع نساء سوريا من أجل الديمقراطية، وعضو سابق في حزب العمل الشيوعي

حاورها: سناء ابراهيم

أميرة حويجة
ناشطة في تجمّع نساء سوريا من أجل الديمقراطية، وعضو سابق في حزب العمل الشيوعي، وسجينة سابقة في الفترة ما بين ١٩٨٧ حتى ١٩٩١.. أنجزت في العام ٢٠٠٦ كتاباً حمل عنوان (في القفص) تتحدث فيه عن تجربتها في الاعتقال وعن الانسان السوري وعن سوريا البلد...

أُنجز الكتاب لكنه ما زال حبيس الأدراج، لم نقرأ الكتاب وأميرة نفسها أخبرتنا بأنها لم تعد لتستطلع صفحات الكتاب مرة أخرى لكن الروائي المصري صنع الله ابراهيم يشجعنا على قراءته عبر تعليق أرسله لـ أميرة: التعليق يقول: (الكتاب صادق جدّاً.. تابعي)
في حوارنا مع أميرة حويجة... نتحدث عن السجن.. الذاكرة والثورة...

لنبدأ من النهايات.. أميرة حويجة أين أنت اليوم، إن كان على صعيد العمل في منظمات المجتمع المدني أو على صعيد السياسة ؟

بالمختصر.. أشعر بفراغ كبير، لكن أحاول قدر الإمكان أن أكون موجودة مع عمل المرأة ضمن مجموعات نسائية، وأحاول أن يكون صوتي كما هو، بعيداً عن أي مخاطر انزلاق، لأنه بالنسبة لي، لديّ بنية رصينة جداً، لا أستطيع أن أكون إلا أنا.

لهذا أنت اليوم بعيدة عن السياسة بالمعنى المباشر للكلمة؟

يمكن، أنا أعتبر العمل السياسي هو الأهمّ وهو الذي يقود عملية التغيير، لكن للأسف فإن حصاد سنين من القحط، قد أوصلتنا إلى أن يكون التيار الديمقراطي العلماني الذي أنتمي له، لم يعد له دور مؤثّر، وإذا وجد فهو في الغياب، وغير ذي تأثير، ليس غير مؤثّر فحسب بل بات تابعاً وملحقاً بالآخرين، وهذا يجعلني أبتعد عن العمل السياسي، فأنا لا أرغب في أن أتلوّث.

كيف ترين مايجري من حولنا اليوم؟ لا بد وأن ندخلك في السياسة.

لست راضية عمّا يجري، أحيانا أتساءل من هم هؤلاء الذين يظهرون على الفضائيات ويحكون باسم الناس، إلى أي حدّ لهؤلاء وزنا، وماهي إمكانياتهم على تغيير الوقائع، العمل السياسي اليوم رهينة لأصحاب الأجندات والمموّلين، وليس لأصحاب النضال والاختبار والـرأي، إذا استعرضنا كم خارطة طريق صيغت لسوريا منذ بداية الحراك إلى اللحظة، ومن الذي صاغها وشارك بها، سنرى أن الذين صاغوها ليس هم من دفع ثمن المشاركة، من صنع خرائط الطريق ومنذ اليوم الأول لم يكونوا من نزلوا إلى الشارع، في ٢٠١٢ ابتدأ الكلام عن تقسيم سوريا والتسلّح وخريطة غرب كردستان وهي خرائط ليست سورية، مع ذلك اعتمدها المثقفون والمعارضة، فابتعدوا عن الواقع، وربما مردّ ذلك إلى ضعفهم، وربما بسبب هجرهم للبلد والتحاقهم بالخارج، مهما كانت ثقافتك عالية، ومهما كنت متمكّناً، فحين تكون بعيداً عن المكان والأرض فأنت بعيد عن وجع الناس، الآن هنالك أشخاص في الخارج مازالوا يتحدّثون عن حراك ثوري، وفوق ذلك مازالوا يقولون: «نحن من يمثّل الحراك الثوري والسلمي»، أين هم هؤلاء؟ باتت التكتّلات السياسية تتباهى بماحدث قبل أربع سنوات دون النظر إلى المتغيّر، دون إدراك المستجدّ، يتكلّمون بما لاصدى له، ولا نبض له، ولا ساحة له، وعلى هامش هذه الكتل السياسية تظهر مشاريع من ائتلافات وسواها، يكونون في اجتماع عدد أعضائه ٢٥ شخصاً لا يمثّلون سوى أنفسهم ويتحدّثون باسم الشعب، أظن أن هذا كثير على أن نتقبّله، قد يكونون شخصيات هامّة، ولكنهم بالنتيجة خارج البلد ولا يمثّلون سوى أنفسهم، وهؤلاء يرفعون في وجهك خارطة طريق.. لكن بالنتيجة، نحن على الأرض، وأظن أننا أصحاب تجربة ونعرف كيف نحلّل ونقرأ، فخرائطهم التي يعلنونها يمكن أن تُعلن دون مؤتمرات ولا أجندات دولية ولا سواها، هذا الكلام يجعلنا نبتعد، نبقى بعيدين.

لم لا تكوني أنت هذا الصوت.. صوت الداخل.. أنتم دفعتم أثمان مبكّرة، ومع ذلك تلتزمون الصمت.. أليست هذه سلبية؟

لا.. ثمة أصوات في الداخل، ولنا صوتنا، ولكننا لا نستطيع أن نؤسس لتنظيمات، العمل السياسي مازال محرّما في سوريا، لا نستطيع أن نكون منفتحين ونحن هنا، مع ذلك هنالك الآن كتلة سياسية وهنالك تجمعا يمكن أن يعلن نواة لتنظيم ما، لكن كيف سيعمل هؤلاء؟ هل هناك أية امكانية لعمل علني كأن تطلق صحيفة أو إذاعة؟ العمل الصغير الآن لم يعد مجديا، مهما قلت كلاما صحيحا فما قيمة كلامي ان لم يكن له منبره كإذاعة أو محطة تلفزيونية أو غيرهما؟ حتى لو مثلت صوت الناس.

دعينا نعود إلى حياتك الشخصية.. دعينا نبدأ من ١٩٧٨ وصولاً إلى ١٩٨٧.. أعني ما قبل مرحلة الاعتقال.

كان صهري معتقلاً، فانتقلت إلى السكن مع أختي، كنت طالبة بكالوريا وكنت أقرأ من صغري وبدأت أحتكّ بالسياسيين، نشأت على قيم جميلة تتّصل بمجملها بالعدالة وحب الناس والتعاطف مع قضاياهم، حين سكنت مع أختي أصبحت أعيش مع نساء معظم أزواجهن في المعتقلات، نساء موجوعات كنت أتعاطف معهنّ وأرى بطلات، أزواجهن كانوا

في خيالي، كانوا الرجال الذين قرأت عنهم في الكتب، وهؤلاء النسوة هن زوجاتهم كنت صغيرة على دخول التجربة، كان نبض المقاومة قد أخذ الكثير مني، وابتدأت أستمع لاغاني الثورات كأغاني الشيخ إمام، كنت متحمّسة ولكنني كنت ما أزال صغيرة، في ١٩٧٨ أُفرج عن صهري وخرج من المعتقل وصار رفاقه المعتقلون المُفرج عنهم يأتون إلى بيتنا بصحبته، طبيعي أن تكون أحاديثهم فكرية – سياسية، وهذا أخذني الى أماكن رُسمت لي لاحقاً، تعرّفت على (أحدهم)، وكان في حزب العمل الشيوعي، ابتدأ هذا الشخص يحكي لي عن تجربة التخفّي وكنت حتى تلك اللحظة لم أدرك ما معنى المعتقل، فكيف الحال إذا كانت التجربة تتعلّق بالتخفّي والحياة السرّية.. كنت أذهب في خيالاتي إلى رسم أبطال من المتخفّين، وبات هذا الخيال يصوغني.

ماذا كان عملكم في تلك الفترة؟ تنشطون بأيّ المجالات؟

أهمّ شيء كانت الاجتماعات الدورية، يأتي كادر يلتقينا مرة كل شهر، كنّا في خليّتنا المؤلفة من ٣ أشخاص، كنا نقرأ كتابا كل أسبوع ونقارنه بالواقع.

من كانت قياداتكم في تلك الفترة؟

فاتح جاموس، أصلان عبد الكريم، كانا الأساسيين في الرابطة.. كان هذا الكلام قبل عام ١٩٨٠. ثم جاء أشخاص آخرون، أنا عملياً كنت ألتقي بأصلان، كان هنالك نوع من المركزية، ومكتب عمل اسمه لجنة العمل، كان كتابنا المفضّل، ما العمل لفلاديمير ايلتش لينين، كان الكتاب يرشدنا إلى كيفية بناء الحزب، يعني (وبسخرية) كان علينا أن نبني الحزب الذي حكى عنه لينين منذ مئة سنة، خطوة خطوة بتنا نعرف كيف نفكّر وكيف نقرأ.

بالنتيجة ماهي المشاكل التي اعترضتكم؟ متى كان اعتقالك الأوّل؟

أنا اعتقلت ١٩٨٧.

بكير.

طبعاً بكير لكن، أنا لا أعتقد أن أحداً عاش في الحزب أكثر مني، عشر سنوات عمل حزبي قبل الاعتقال تُعتبر تجربة كبيرة، رفاقنا اعتقلوا في مراحل أبكر، قبل الثمانينات كانت الاعتقالات تمتدّ لسنة سنتين ثم يُفرج عنها، ولكن بعد أحداث جماعة الإخوان في الثمانينيات، ما وقع للإخوان، وقع للقوى الديمقراطية، من ناحية التعذيب ومدّة الاعتقال.

كم سنة اعتُقلت؟

أنا لوحقت سنة واعتُقلت أربع سنوات، مرحلة التخفّي امتدّت من ١٩٨٦ وحتى ١٩٨٧ بعدها اعتُقلت حتى أواخر ١٩٩١.

كيف كانت تجربة الاعتقال؟

بعد أن انضممت إلى الحزب، بتّ أشعر بالنزيف، بدأت أتوقّع أن أكون من بين المعتقلين.

جاء دور البطلة.

جاء دور البطلة.. صح.. كنت في الجامعة وكنت قد تعرّفتُ على مضر (الذي هو زوجها الآن)، وكان لدينا نيّة للزواج، تزوجنا في ١٩٨٢، وفي هذا العام كانت حملة الاعتقالات الكبرى، ذلك بعد أن تحوّلت الرابطة إلى حزب، وكان معظم أعضاء اللجنة المركزية للرابطة قد جاؤوا من لبنان، وأصبح موضوع الاعتقال هاجساً، هنا قلت لمضر لا ضرورة لأن ننجب، لأننا عرضة للاعتقال، ولكننا أنجبنا طفلتنا «سنا»، ابتدأت أشعر بضغط الموقف، أنا حامل وهو متخفٍّ واحتمال اعتقالي وارد في كل وقت، بدأت أعيش ضغوطاً نفسيّة منذ ذلك اليوم، أُفرج عن مضر لأنه لم يثبت عليه شيء، المهمّ ولدت ابنتنا، وبعدها عاد مضر إلى التخفّي نهائياً، في هذا الوضع أصبحت أمّاً إلى جانب عملي، وبدأت حالتي النفسية تسوء وبتّ أخاف من أن أفقد أمومتي، هذا خوف تعيشه ولكن ليس لكل الوقت، لا تدركه إلا حين تفقد أمومتك، في عام ١٩٨٦ وكان عمر ابنتي ٣ سنوات، كان هنالك نقاشات حول الاعتقالات، وكانت هنالك أنباء تفيد بأنني على قائمة المطلوبين للاعتقال وطلب رفاقي مني التخفّي، ووقتها ذهبت إلى حلب، فعلاً تخفّيت وسرقتنا السكين كما يقولون، حملات اعتقالات واسعة وقلق.

داخل السجن، ما الذي حدث؟

داخل السجن بدأ التخدير يزول، أثناء العمل لا تشعر بالخسارة لا من داخلك ولا ممّن حولك، لم أكن أفكر بمضر، وقد اعتقل، ولا بابنتي، وأنا تحت التعذيب ابتدأت ردود الفعل، بدأت أفكّر بابنتي، كنت في الأيام الخمسة الأولى من الاعتقال وكنت في زنزانة انفرادية، لم أكن أفكّر بوجعي وأنا عائدة من جولة التعذيب، كنت منشغلة أين سيكون زوجي، كنت أفكّر بابنتي، وماذا تفعل؟ كيف تعيش؟ طبعاً اعتُقل زوج عمّتها أيضاً في أيلول ١٩٨٧، هنا بدأت الأسئلة الموجعة؟

ماهي الأشياء التي خسرتِها بعد أن تمّ اعتقالك؟ أو ماهي الأشياء التي تعتقدين أنك ندمت عليها بعد دخولك السجن؟

للآن لا أظن بأنني ندمت، ولكنني أستطيع القول أنني توجّعت، الضريبة التي دفعتها كبيرة، لست وحدي من دفع، مرت الأيام وكان فيها إضافة الى الألم شيء من التسلية، كنا نضحك في السجن، من شدة الألم كانت أي نكتة صغيرة تدفعنا إلى الضحك.

كل ذلك كان في سجن حلب؟

نعم، ثم جاء ترحيلنا إلى فرع فلسطين، أثناء ترحيلنا كنا نغنّي للوطن، كانت كلمة فرع فلسطين الذي سيرحلوننا إليه يعني التعذيب الوحشي، رحّلونا إلى فرع فلسطين، وكنت مغمضة العينين، ومنه فرزونا إلى زنزانة مزدوجة، مكثت شهراً في فرع فلسطين، وبعدها رُحِّلت إلى سجن دوما وبقيت هناك.

مابعد السجن.. كيف كانت النظرة الاجتماعية العامة إليك كسجينة؟

أمي كانت متوفّاة، أبي زارني مرة في المعتقل، أخي لم يزرني أبداً، أختي كانت (كأنني في الخارج، قامت بدوري تجاه ابنتي)، أقسى الزيارات التي أبكتني كانت عندما زارتني ابنتي سنا، في هذه الفترة كان هنالك الكثير من المراجعات ومن الأسئلة، صحيح أن الثمن الذي دفّعنا إياه النظام كان أكبر بكثير ممّا عملناه، لكن كان عملنا أيضاً عملاً سرّياً، وكان علينا أن نحميه أكثر ممّا حميناه،الآن لو عدنا للعمل السرّي فلن نعمل بالطريقة السابقة التي عملنا بها، مع أنني لم أعد أؤمن بالعمل السرّي.

تعالي نتكلّم عن مرحلة ربيع دمشق.

نحن خرجنا من السجن ما بعد البيروسترويكا، كان العالم قد تغيّر، تجربتنا كانت حقيقية وصادقة لكننا لم نكن نعرف كيف نعمل ولمن نتوجّه؟ مثلا: قبل الثمانين كان هدفنا إسقاط النظام، ولكن ماهي الإمكانيات لإنجاز مثل هذا الهدف؟ كانت تطرح مشاريع مهمة ولكنها غير مدروسة، بعد ١٩٩١ لم يعد ممكناً العمل بالطريقة التي كنا نعمل بها، في مرحلة ربيع دمشق انقسمت الناس، تشكّلت قناعات جديدة وتغيّرت المواقف، هنا ابتدأنا بتجربة المنتديات، كنت أتابع منتدى رياض سيف، وأحضر اللقاءات، بداية حضرتها بحماس، لكنها لم تُضِف لي شيئاً، مع ذلك تعرّفت فيها على شباب جدد كانوا يلفتون انتباهي، شيء ما كان يزعجني كثيراً في تلك الفترة، كنت أذهب إلى منتدى آخر هو محاضرات الدكتور البوطي، مرة ذهبنا إلى المنتدى ولم نجد مكاناً

نجلس فيه بدءاً من الصالة وصولاً إلى الباحة، وهنا كانت المفارقة، كل الحضور كان من الشباب وكان سؤالي: لم الشباب للبوطي وليسوا لنا؟

أنا سأسألك نفس السؤال.. لماذا؟

لا أستطيع الإجابة ببساطة ولكن أستطيع القول إنه أصبح هناك مدّ ديني في البلد لم نكن نحسب له..

هل لهذا ارتباط بالتطرّف ما بعد ٢٠١١؟

الفكر المعتدل بات ضعيفاً، أوّلاً لأنه فكر مُساوم أقرب إلى السلطة، وهذا ما يدركه النظام، التطرّف الذي شهدناه بعد ٢٠١١ ليس راعيه الفكر المعتدل، ولكن سببه ووجوده هو الاستبداد وغياب التنمية، الناس التي خرجت للتغيير خرجت من الأرياف والهوامش، وكشفت إلى أي درجة بلدنا فقير في استيعاب هواجس الشباب ومطامحهم، خرجوا من الهوامش حيث لا تعليم ولا فكر ولا تنمية، هؤلاء بعيدون عن كل شيء، حتى عن الاعتدال الديني، هذه الأماكن كانت قابلة للانفجار وقد انفجرت.. هذا ما حدث.

الآن.. ما الذي تفعلينه؟ أنت منسحبة خارج الفعل السياسي بمعنى السياسي التنظيمي؟

أنا لست منسحبة، أنا مازلت في تجمّع نساء سوريا من أجل الديمقراطية، ولكن أشعر بنفسي أنني أتحوّل ببطء إلى متفرّج.

مُتفرّج؟

نعم أن تكون متفرّجاً أفضل من أن تكون فرجة.

نماذج من التفكير في السياسة وغيرها

جاد الكريم الجباعي

١

يتداول سياسيون سوريون مرموقون ومثقفون أيضاً، من الموالين وشبه الموالين للسلطة «الشرعية»، صورة، تضم «الملك» عبد الله الأول، جد الملك حسين، ملك الأردن (السابق)، ووزير الدفاع الصهيوني، موشي ديان، في «جلسة أخوية» عام ١٩٤٩، مع شخص ثالث. وكُتب على الصورة التعليق الآتي: «**عرفتوا ليش ضاعت فلسطين.**»، بدون إشارة استفهام. تريد هذه الرسالة أن تقول: ضاعت فلسطين عام ١٩٤٩، نتيجة خيانة الأمير عبد الله بن الحسين جد الحسين، الذي أبرمت في عهده اتفاقية وادي عربة مع إسرائيل، وأبو جد الملك عبد الله الثاني ملك الأردن اليوم.

ضاعت فلسطين بسبب الخيانة؛ الخيانة تنتقل بالوراثة..

لو وجهنا السؤال لأي من هؤلاء، ووضعنا كلمة سوريا محل كلمة فلسطين، لقال: ضاعت سوريا، بسبب خيانة المعارضة عام ٢٠١١. ويمكن أن يفصِّل في ذلك قائلاً: ضاعت سورية بسبب خيانة المعارضين، التكفيريين والإرهابيين، من أمثال منتهى

صورة الـ«جلسة أخوية»

الأطرش، أخت سلطان الأطرش، وبنت ذوقان الأطرش، الذي أعدمه جمال باشا السفاح، وخيانة فداء حوراني، بنت أكرم الحوراني، وسهير الأتاسي، بنت جمال الأتاسي، وسلام الكواكبي حفيد عبد الرحمن الكواكبي والقائمة تطول.

ضاعت سوريا بسبب الخيانة؛ الخيانة تنتقل بالوراثة..

٢

في السياق نفسه، أرسل لي كاتب وشاعر سوري، قبل أيام، نصاً «بقلم الدكتور أسامة فوزي» عنوانه: لماذا أطلقت الاستخبارات الأمريكية لقب «مستر بيف» على الملك حسين.. ومن كان رئيس الملك (ومشغِّله) في عمان، مع إشارتي استفهام. ظننت أن إشارة الاستفهام الزائدة في المقالة تعويض عن إشارة الاستفهام الناقصة على الصورة؛ فاكتشفت كم أنا غبي. لكن العزاء كل العزاء أن «الملك حسين يحاسب اليوم في قبره على بعض ما فعله بحق وطنه ودينه وأمته»، حسب الدكتور أسامة فوزي، كاتب المقال. ودليل غبائي أنني لم أفهم حتى اليوم مغزى كثرة إشارات الاستفهام بعد صيغة السؤال. اللغة العربية تتجدد، والمعرفة تتجدد، بالتذكر والتذكير، والثقافة تتجدد بالتكرار، فلا تيأسوا.

الكاتب الدكتور أسامة فوزي

٣

يتداول السياسيون اللامعون، و«المثقفون» اللامعون أنفسهم، نصاً طويلاً، يشرح مزايا فلسطين، صَّدره كاتبه بقوله: «في عام ١٩٤٨ احتلت فلسطين (هكذا)، فماذا تعرف عن فلسطين..» (نقطتان بدلاً من أشارة الاستفهام، تعنيان: فماذا تعرف عن فلسطين أيها الجاهل؟). أولى مزايا فلسطين، وعددها خمس وثلاثون مزيَّة، أنها، أي فلسطين، «أرض المحشر والمنشر». والثانية أنها «أول بلد أقسم بها الله عز وجل في كتابه..» (هكذا). وثالثها أن «نبي الله، إبراهيم دفن هو وابنيه (هكذا) في مدينة الخليل بفلسطين..»، وكل عقلي أن نبي الله، إبراهيم، شخصية أسطورية! فاكتشفت جهلي إلى جانب غبائي. ليس هنالك من معرفة تضاهي «المعرفة اللدنية» التي يهبها الله لعباده الصالحين.

في ضوء هذه المزايا، ومثلها كثير، فكرت: إما أن الله عادل، أعاد فلسطين لأصحابها، اليهود، أحفاد نبي الله، إبراهيم، وإما أنه ظالم، تسبب في محنة الفلسطينيين ونكبتهم، وتشريدهم وشرودهم في أربع جهات الأرض، وإما أنه ماكر، جمع الآثمين (الفقراء) من اليهود في فلسطين، لكي يبيدهم المسلمون، عن بكرة أبيهم، يوم الحشر. وكان أحمد سعيد، الإعلامي في إذاعة «صوت العرب» المصرية، أيام عبد الناصر، يستعجل يوم الحشر، بالقضاء على اليهود، ورميهم في البحر، وعلى نهجه سار الرفاق القوميون و«أخوة المنهج» من الإسلاميون، حتى يومنا، وإلى يوم الحشر والنشر. فالج لا تعالج.

٤

السياسيون و«المثقفون» اللامعون، ومعهم جمع غفير من القوميين، البعثيين، واليساريين الثوريين، وبعض الفلاسفة من العرب والكورد، هاجوا وماجوا على عاهل المملكة العربية السعودية، الملك سلمان، لما أغدقه على ترامب، رئيس الولايات المتحدة الأمريكية من هدايا وهبات وعقود جائرة. فلا يكفي أن هذا الملك «عميل للإمبريالية»، و«صنيعة الولايات المتحدة الأمريكية»، بل هو يبدد ثروة «الأمة العربية». لا غبار على هذا الكلام، لولا أن هؤلاء الأشاوس لم ينبسوا ببنت شفة على من بدد ثروات سوريا، وأغدق بمعظمها على أقاربه وأنسبائه ومحاسيبه. فقد صرح رامي مخلوف، في مقابلة أجرتها معه إحدى المجلات، أن نشاط شركاته يعادل ٦٠٪ من النشاط الاقتصادي السوري، (عن كتاب جمال باروت، العقد الأخير في تاريخ سوريا، ص ٧٣). ولم ينبسوا ببنت شفة، منذ ٢٠١١، سوى على الإسلاميين التكفيريين الإرهابيين الظلاميين، الذين يستقوون بالخارج. (الإيرانيون والروس وحزب الله والميليشيات الشيعية العراقية وقائمة تطول من المرتزقة، كلهم من الداخل، بل داخل الداخل).

٥

منذ أُعلن عن استفتاء الكورد، في استقلال إقليم كردستان العراق، أو بقائه في كنف الدولة الفدرالية العراقية، قامت قيامة العرب السوريين، ولا سيما القوميين منهم واليساريين المتقومنين، سوى عدد قليل جداً، لا يعتد به، قامت قيامة هؤلاء على الكورد السوريين، وتأكدت لهم شبهة أن «الأكراد أخطر من إسرائيل»، يعملون على

تجزئة التراب الوطني، وتفكيك الوحدة الوطنية، والإمعان في تفتيت «الوطن العربي»، واعتراض المسيرة التوحيدية الظافرة، التي ابتدرها حزب البعث العربي الاشتراكي، منذ أربعينات القرن الماضي، واستكملها الزعيم الخالد، حافظ الأسد، باحتلال لبنان، والقائد الضرورة، صدام حسين، باحتلال الكويت، وأعاد بناء نواتها الصلبة، قائد مسيرة الجيش والشعب، الدكتور بشار الأسد، بتقوية الروابط الوطنية بين جميع السوريين، وبينهم وبين جميع العرب. وتكفّل الأشقاء الإيرانيون و«المقاومة الإسلامية» بتحرير فلسطين من البحر إلى النهر، وإزالة دولة أسرائيل عن الخريطة.

العائق الوحيد أمام هذه المسيرة (وأمام عودة المهدي المنتظر، قبل يوم الحشر والنشر) هو وجود الأكراد، مجرد وجودهم ضيوفاً جاحدين، في أرض العرب، مهد الحضارات البشرية ومهبط الديانات السماوية. هذا الوجود الناشز والناتئ للأكراد في ربوع الأمة العربية ومضاربها جعل معظم المثقفين السوريين يفقدون صوابهم من فكرة النظام الفدرالي الأقرب إلى الديمقراطية، وهم يعلمون أن هناك دولاً قومية (= وطنية) فدرالية راسخة ومستقرة وديمقراطية، وبعضهم من دعاة حقوق الإنسان. لعل عربان سوريا يخافون من سابقة استفتاء الشعب في القضايا المصيرية، التي تمس كل فرد من أفراده، كالاستقلال أو الاندماج أو تغيير النظام الاجتماعي الاقتصادي، من الليبرالية إلى الاشتراكية، كما حدث في سوريا عام ١٩٦٣، على سبيل المثال، لأنهم أدمنوا **البيعة**، التي تميز العرب عن سائر شعوب العالم.

٦

خبراء اقتصاديون بارزون، يتداولون مقالة للدكتور عبد الرزاق بني هاني، بعنوان «علم الجهل»، يتحدث فيها عن «مؤسسات تابعة لحكومات دول كبرى متخصصة في هندسة الجهل وصناعته وتغليفه بأرقى الأشكال، ثم تسويقه على نطاق واسع»، وأن مستهلكي هذه البضاعة هم الفقراء والمتدينون والمغفلون من السياسيين وصناع القرار. ثم يردفونها بمعلومات «قيمة» عن العراق، منها أن دخل الفرد العراقي بلغ سبعة آلاف دولار سنوياً، عام ١٩٧٨، وكان الثالث عالمياً بعد الولايات المتحدة وبريطانيا، وحينها قررت **الحكومة العالمية السرية** وضع حد للعراق.

اللافت في هذه المعلومات أن «متوسط دخل الفرد»، لا يدل على مستوى الحياة الإنسانية للكتلة الأساسية من الشعب، في أي دولة، بل يدل فقط على نمو الناتج الكلي، الذي لا يوزع في العادة توزيعاً عادلاً. نعتقد أن ثمة علاقة واضحة بين هذا المعيار الاقتصادي «العلمي» وبين علم الجهل. والأدهى أن الحكومة العالمية السرية هي التي قررت وضع حد للعراق، هنا يبلغ العلم ذروته. هل تريد هذه الرسالة أن تقول: إن الحكومة العالمية السرية هي التي حاولت أن تضع حداً لسوريا الصمود والتصدي والمقاومة والممانعة عام ٢٠١١، ولكنها فشلت هذه المرة، نتيجة التفاف الشعب حول قيادته الحكيمة؟!

٧

قرأت، منذ أيام، رواية «حديقة الحيوانات»، للكاتب البريطاني، جورج أورويل، مرة ثانية أو ثالثة، فاكتشفت، هذه المرة، أنني، كنت واحداً من حيواناتها، من دون أن أعي ذلك. ترى، ألست كذلك إلى اليوم؟!

في المسألة «الطائفيّة»

نارت عبد الكريم

تشير عدّة دلائل ومعطيات إلى وجود اعتقاد راسخ يسيطر على عقول معظم الناس في بلادنا، مضمونه أن الانتماءات الأولية يسهّل التعامل معها واجتثاثها أو اجتنابها كما لو كان ذلك مُتاحاً بكبسة زرّ مثلاً، أو أن عدم التحدّث عنها وإشهاراها يعني زوالها تلقائياً، بل إن بعضهم يرى أن سنّ القوانين كفيل بالتحكّم بها ومنع ظهور آثارها. ولكي تتأكّد من وجود هذا الاعتقاد يكفي أن ترجع إلى بعض من الأبحاث والدراسات التي صدرت عن موضوع الطائفية في سوريا على سبيل المثال وليس الحصر. فما هي الانتماءات الأوّلية؟ وأي فرع من فروع العلم اختصّ بدراستها وتحليلها؟ وأين موقعها في النفس حتى نتعامل معها ونتجنّب آثاراها السلبية؟ وهل هذا يسيرٌ ومُتاحٌ من حيث المبدأ؟ وهل بمقدور المرء، في مجتمعاتنا المتخلّفة حيث الكبت والقمع سمتان أساسيتان في كل المؤسّسات الاجتماعية منها والسياسية، ألا يكون طائفياً أو محكوماً بانتماءاته الأوّلية؟ ولماذا صادف أن الدولة الوحيدة التي انفصلت عن الاتحاد الأوروبي كانت بريطانيا البروتستانتية؟ وما الذي يفسّر التقاء المعارضة السورية العربية، بمعظم أطيافها وتياراتها، مع النظام السوري (قلب العروبة النابض) حيال الموقف من القضية الكردية؟ وهل تشرح كل التبريرات والأعذار المعلنة مثل هذه المصادفات؟.

إن للنفس «أعضاءً» لا تسيطر عليها عقولنا ولا تخضع بسهولة لوعينا كما للجسد أعضاءً، منها القلب والكبد والكلى، تعمل وفقاً لمشيئتها وليس وفقاً لإرادتنا «الحرّة»!.

عدسة: ديار معو/ قرية دويرة - سري كانية

عدسة: هاشم حاج بكري / مخيمات خربة الجوز - ريف إدلب الغربي

عدسة: جيان حاج يوسف / جل آغا- ريف ديريك

أطفال الأيزيديّين... ألغام «داعش» المَوقُوتَة!

لامارْ أرْكَندي

مَا أن تدخُل الحُدودَ الإداريَّةَ لجبال «سنجار» في العراق (١٢٠ كم غرب الموصل) حتى تَرَى قَواسِمَ الألَم قدْ رَسمتْ لوحاتها الدّامية على ملامح مدينة «سُنوني» أسفلَ الجبل وأكْوام الرُّكام الرّاقدة على مأساة شَعب حفَر الدَّمُ مجراهُ عَميقاً في ذاكرة كلّ أيزيديّ تُصادفهُ في طريقكَ ليُحدّثكَ عن المجزرة (الرابعة والسبعين) التي ارتُكبتْ بحقّهم، لكنَّ هَوْلَ الإبادة التي ارتَكبها تنظيم الدولة الإسلامية «داعش» في الثالث من آب /اغسطس ٢٠١٤/ وقتله المئات من الأيزيديّين وسبيه النّساء وخطفه للأطفال، كانت الأعنفَ دمويةً في تلكَ الرُّقعة المُبعثرة على جُغرافيا تَشبّثتْ بوجودها من المَهد إلى اللّحد يبقى صَداها قاسياً يُلمْلمُ جراحاتهَ المفتوحة، ويعلو صوتُهُ مع وُصولكَ سُفوح جبل «شَنْكال» كما يُفضّل الأيزيديّون تَسميتها.

في نقطة وسطَ الجبلِ المُطلّ على الوادي أشارَ «حسن سنجاري» مقاتل في (وحداتَ حماية شنكال) إلى أسفل الجبل مُتنهّداً:

«هنا حاصر داعش /١٦/ فتيات إيزيديّاتٍ ألقينَ بِأنفسهنَّ في قاعِ الوادي وفَضّلنَ الموت على الوقوعِ في يد التنظيم».

«حسن» هو عَمٌّ لطفلين اختطفهُما التنظيم مع حوالي (٥٣٨٣) مُختطفاً وُفقَ الإحصائيّة التي صَرَّحَ بها «خيري بوزاني» مدير عام الشُّؤون الإيزيدية في وزارة الأوقاف بحكومة إقليم كُردستان على الموقع الرسمي للوزارة.

يقول حسن لمجلّة «صُوَر» إنَّ تنظيم الدولة الإسلامية «داعش» قتل أخاهُ وخطفَ طفليه (ماهر ورياس) اللذين تراوحتْ أعمارُهم بين الرّابعة والسّادسة من قرية «كوچو» جنوبي مدينة «سنجار»، لكنَّ الأُم بقيتْ مع طفلتها في مُخيم الجبل مُتأمّلةً عودة طفليها مُحرَّرين مع الأطفال القَلائل الذينَ يتمُّ تحريرُهم بين الفَيْنة والفَيْنة في «الموصل» مركز التنظيم في العراق، أو من مدينة «الرَّقــة» السورية، لكنَّ القَدرَ سَخَا بكراماته على خمسة أطفالٍ حُرّروا على «يد قوات سورية الديمقراطية» المعروفة بـ(قسد QSD) في مدينة «الرقة» ووصلوا جبال «شَنْـــكال» قبل حوالي العشرة أيام.

«علي بيْرْ» ناشط وصحفي إيزيدي كان منَ الأوائل مِمَّنْ حَظِيَ بفُرصة التَّحدُّث إلى الأطفال الخمسة قبل تسليمهم عبر مَدخل «كَلي كَرْسي» إلى عوائلهم في مُخيمات «دُهوكَ» في كُردستان العراق، نقل لمجلّة «صُوَر» عشرات صور المآسي التي مارسها تنظيم «داعش» بحقّ المُختطَفين من الأطفال لديه حسبَ رِواية أكبرهم سِـنّـاً والذي شاركَ التنظيم في عدَّة معاركَ ضدَّ (وحدات حماية الشعب الكردية) شمال سوريا، بعد تَلقّيهم تدريباتٍ عسكريةٍ على مُختلف الأسلحة، إلى جانب تعليمهم قراءة القرآن وحفظه وتخصيص حِصَصٍ لتحضيرهم لتنفيذ عملياتٍ انتحاريةٍ، ويضيف «علي» على لسانِ أحدِ الأطفال:

«لكُلّ منّا حزامُهُ النّاسف، وكانوا يُدرّسوننا كيفية تنفيذ العمليات الانتحارية التي سَتمنحُنا «الجنة» التي تنتظرُنا عندَ بواباتها «حور العين» بمُجرّد أنْ نُفجّر أنفُسنا بالـــــكُفّار»!!!.

لُغْمٌ في الأحشـــاء

ــ يزدادُ قَلقُ المُجتمع الإيزيديّ مع نجاح تنظيم الدولة الإسلامية «داعش» في استمالة أطفالهم إليه وتَشْريب أدمغتهم بعقيدته الرَّثّة يقول «علي»، إنَّ أحد النّاجينَ تحدثَّ عن مئات الأطفال الإيزيديّين في مُعسكرات «داعش» مِمَّنْ يستخدمهُم التنظيمُ في معاركه وعمليّاته الانتحاريّة، وبحسبِ رواية مَن الــتَقاهُم مِنَ العائدينَ إن العديد من الأطفال رفضوا

«لكُلّ منّا حزامُهُ النّاسف، وكانوا يُدرّسوننا كيفية تنفيذ العمليات الانتحارية التي سَتمنحُنا «الجنة» التي تنتظرُنا عندَ بواباتها «حور العين» بمُجرّد أنْ نُفجّر أنفُسنا بالـــــكُفّار»!!!.

العودة إلى ذَويهم لأنَّهم يرونهُم كُفّاراً !، وهناكَ مَنْ يُقاتلُ ضدَّ أهله!!.

الباحثُ والمُـؤرّخ الإيزيدي «سـالم الرَّشيداني» الـذي سجّل وصوّر بالفيديوهات منذ بداية كارثة «شَنكال» عشرات المقابر الجماعيّة مِمَّنْ قتلهم التنظيم، ووثّق قصصَ النّاجينَ والمُحرَّرينَ من «داعش» في مُخيّمات النُّزوح في «دُهـوك» حَذَرٍ من حجم الكارثة التي يُواجهُها المجتمع الإيزيدي لا سيَّما بعد تعلُّم الأطفال الذُّكور والإناثْ صناعة العُبوات النّاسفة والتَّلاعُب بعقولهم كيفَما شاؤوا وتحريضهم ضدَّ مجتمعهم مُؤكّداً أنَّ تصرُّفات الأطفال العائدين منْ تحت قبضة «داعش» غيرُ طبيعية وغريبةٌ عن المجتمع الإيزيدي، إذْ إنَّ بعضَهُم يُواظبُ على الصَّلاة بحرَفيَّةٍ وإتْقانٍ واضح يفوقُ كثيراً أقرانَهُ منَ الأطفال المسلمين كَما في مُخيَّم «باجَدْ كَنْداله».

وأرْدفَ بالقول: **«رغمَ صِغَر سنّهم يُتقنونَ أساليبَ قتاليّة وحشيّة كَالذَّبح والنَّحْر والضَّرب والجَلْد والحَرق الذي يُمارسهُ «داعش» ضدَّ ضَحاياه»**، وتابعَ «الرشيداني» مُشيراً إلى أنَّ نَظرةَ هؤلاء الأطفال إلى ذَويهم أصبحتْ كَنظرة «داعش» المُتطرّف إلى الأديانِ الأخرى.

باعتقاد الباحث الإيزيدي أنَّ قيادات «داعـش» نجحتْ في تنفيذ مُخطّطاتها في التَّحكُّم بالأطفال كالعجينة بين يديه وإعدادهم ليُصبحوا قنابلَ موقتةً سَتنفجرُ داخلَ مُجتمعاتهم مُستقبلاً لذا يُطلقون سَراحَ العديدِ منهُم.

وأشارَ «الرشيداني» أنَّ «داعش» تَفنَّنَ في أساليبِ التّعذيب ضدَّ مَنْ لمْ يُطاوعهُ منَ الإيزيديّين الذين وقعوا تحتَ قبضته وعَزلوا الأطفالَ الرُّضَّعَ ومِمَّنْ أعمارُهم بين السَّنَة والسّنتين عنْ أمّهاتهم اللواتي حَرموهُنّ لفتراتٍ طويلةٍ من الطعام والشرابِ.

٨٠٠ طفل مُدرَّبٌ على قطع الرُّؤوس

بَثَّ تنظيم الدولة الإسلامية «داعش» شريطَ فيديو لمُقاتلينَ صغارٍ منَ الطَّائفة الإيزيديّة، وهُمْ يتدرّبونَ في أحد المُعسكرات قبل فترة ليستْ ببعيدة، ظهرَ فيهِ طفلانِ شقيقانِ نَفّذا عمليتين انتحاريّتين ضدَّ القوات العراقيّة في «الموصل»، أحدُهما يُدعى «أمجد أبو يوسف السنجاري» ــ بحسب الشريط ــ الذي قالَ باللغة الكُرديّة إنَّهم «كانوا يعبدون الشيطان»، وإنَّهم «كانوا يعيشون في الجاهلية».

وأكّد شريط الفيديو ــ أنَّ الأطفال «تَلقّوا دُروساً شرعيّةً وانتسبوا إلى مُعسكرٍ تابعٍ للتّنظيم في سوريا»، قبلَ تسجيلهِمْ في قوائم الانتحاريّين، كما أبدى الشّقيقانِ استعدادَهُما لتَنفيذ عمليّة انتحاريّة ضَد «أعداء الله حتى لوْ كانوا آباءَهُم» ــ وُفقَ الشَّريط ــ فيما قالَ أحدُ الأشقّاء ويُدعى «أسعد أبو الخطاب»:

«إنْ شاءَ الله أنا وشقيقي سَننغمسُ في أعداء الله ونُنفّذُ عمليّةً استشهاديةً».

وأظهرتْ لقَطاتٌ منَ الجَوّ لحظةَ تنفيذ الشَّقيقين للعمليةِ الانتحاريةِ ضدَّ القُوات العراقيّة في الجانبِ الأيسرِ من مدينة«الموصل» التي سيطرت عليها القوات العراقية قبل فترة.

مدير مكتب المخطوفينَ الإيزيديّين في محافظة «دهوك» «حسين كُورو» كشف عن /٨٠٠/ طفل إيزيدي مِمّنْ تتراوحُ أعمارهُم ما بين /٥ --١٨/ عاماً في ثلاث معسكرات لتنظيم «داعش» في مناطق (البَـعّاج والموصل والرقة) السورية، وتدريبهم على كيفيَّة قطعِ رُؤوس البشر والأعمال الانتحارية والقتال».

وأشار «كورو» إلى أنَّهُ جرى الحُصولُ على هذه المعلومات من الأطفال الذين تمَّ تحريرُهم عندما كانوا يأتونَ في زياراتٍ إلى أُمهاتهم المخطوفات لدى التنظيم ، وأضاف: **«تمَّ الاتّصالُ بنَـا مِنْ قِبلِ أمّهاتهم، وحرّرناهم عنْ طريق بعضِ العشائرِ العربيةِ أوْ إعطاء الفديَة لِوُسطاءَ بعدَ عودةِ هؤلاءِ الأطفال، وبعد التَّحقيقِ معهُم حصَلنَا على هذهِ المعلومات الخطيرة».**

التنظيم يبيع كُلَّ طفل بـــ٨٠٠٠دولار

بيعُ الأطفال المخطوفينَ لقَـــاءَ بَدَلٍ ماديٍّ أصبح التّجارةَ الرَّائجة والرَّابحة التي يَمتهنُها تنظيم الدولة الإسلامية «داعش» بحقّ الإيزيديّين الذين يبلغُ عددُهمْ في العالم نحو (مليونين ونصف) إيزيدي، يتوزّع حوالي ٣٥٠ ألف منهُم في العراق، ويعمدُ التنظيم إلى بيعِ المخطوفينَ لديهِ لتقويةِ اقتصادهِ بعد أنْ جفَّتْ مواردهُ الاقتصاديةُ مِنْ بيعِ النفط، مع بدءِ إعلانِ معركة «قادمون يا نينوى» في الموصل العراقية وحملة «غضب الفرات» في الرقة السورية مراكز دولة الخلافة في البلدين المتجاورين بالحُدود والتَّوائمين في المأساة والحرب التي قطعتْ أواصر مُدُنهمْ وبَلداتهمْ، وأطْبقت الحَملتانِ العسكريتانِ المَدعومتانِ بطيرانِ التّحالفِ والمُعلنتانِ أواخر العام الماضي حلقةَ تَمدُّد «داعش» في البلدين، ودفعت العشرات منْ مُقاتليهِ إلى بيعِ المُختطفين منَ الأطفالِ والنساءِ الإيزيديّين لضمانِ تَذكرةِ هُروبهم، وقدْ تكونُ إلى أوربا، وتقديم حقّ اللُّجوءِ فيها أو الانتقال إلى مناطقَ أكثرَ أمناً بعد توغُّد التحالف الدولي بقيادة الولايات المتّحدة الأمريكية بإنهاءِ التنظيم.

«أبو شُجاع دنايي» مُحرّر المخطوفين وصفَ عملية شراء المُحتجزين بالمُغامرة الخَطرة، فَعمليةُ الشّراء تَتمُّ عادَةً -كَما يُضيفُ- بعد هُروبِ مُقاتلي التنظيم خارج حدود الدّولة الإسلامية، والبيع يتمُّ بالتّالي في المنطقة التي يَتواجدُ فيها المُقاتل، والاستلامُ والتّسليمُ تُجريان عادَةً مُقابلَ مبالغَ ماليّة تَصلُ لقَـــاءَ تحريرِ طفلٍ واحدٍ إلى الـ/ ٨٠٠٠/ دولاراً.

ويُشيرُ «دنايي» أنَّ العمليةَ قَدْ تَفشلُ بسببِ خيانةِ مُقاتلي «داعش» مُوضّحاً: **«لا نَستبعدُ أنْ يَستلمَ الدَّاعشيُّ المبلغَ دونَ تسليمِ المُختطفِ سَواءً أكانَ طفلاً أو امرأةً وقد يعمدُ إلى قتلِ المُحرِّر نَفسهِ».** وأضافَ: **«كثيرةٌ هي المرّات التي تَعرّضنا فيها إلى الخيانة وخَسرنَا العَديدَ مِنَ الأرواحِ في شبكةِ التّحرير التي نُديرُها لتَحرير المخطوفين».**

عملياتُ التحريرِ تتمُّ أغلبُها بين قوات سوريا الديمقراطية وقوات الأمن العراقية في (الموصل والرقة) بالاتّفاقِ مع مُهربينَ يُنسّقونَ مع عناصرَ منْ «داعش» لضمانِ عُبورٍ آمنٍ للمُختَطفينَ مِنَ الأطفالِ ووُصولهم إلى ذَويهم.

«شُكُرْ شَنكالي» مسؤول المجلس الإيزيدي في «شنكال» الذي أشَرفَ على استلام العديدِ مِنَ الأطفالِ والنساءِ المُختطفات، أكدَّ أنَّ الإيزيديينَ يشترونَ نساءَهُمْ وفلذاتِ أكبادهم المُحتجزينَ لدى التنظيم مُقابلَ مبالغَ ماليةٍ كبيرةٍ تُنهكُ قُدرةَ عوائلِ المخطوفينَ، مُشيراً إلى أنَّ شراءَ أُمّ مع طفلها يَصلُ إلى ١٢٠٠٠ دولار؛ وأضاف:

«لمْ يُحرَّرْ مخطوفٌ واحدٌ دونَ بَدلٍ ماديّ إلّا العام الماضي، حيثُ حُرّر/٥٣/طفلاً وامرأةً في عمليةِ تبادُلٍ مع امرأةٍ من التنظيم من مدينة (حلب) السورية كانت تُدعى «عزيزة» اعتقلتها «وحدات حماية شنكال» الصيف الماضي في شنكال، وكانت زوجةً لأحد الأُمراءِ من تنظيم الدولة الإسلامية «داعش».

تحرير ١٢٠٠ طفل من إجمالي ٣١٦٦

حمايةُ الأطفالِ زمنَ الحربِ مبدأٌ يُكرّسهُ القانون الدولي الإنساني ويُلزمُ بهِ الدولَ وبموجبِ القانون الدولي الإنساني يحظى الأطفالُ بصفتهمْ

الحياةُ السّليمة في الطّفولة السّليمة

الأطفالُ هُم الأكثرُ تَضرُّراً في زمن الحرب رَغمَ أنّهم الأكثرُ قدرةً على التّكيُّف، ولأنهم أضعفُ منَ البالغين لصغرِ أعمارهم، فالحرب كما يُشيرُ «محمد علي عثمان» أخصّائي الصّحة النّفسيّة والتّنمية البشريّة، تُعَدُّ شكلاً كارثيّاً ومُعقّداً للنّشاط الاجتماعيّ والنّفسيّ للأطفال، وتُعدُّ العنايةُ النفسيّة من أهمّ العوامل التي يفتقدُها الطفلُ في مناطقِ الحرب والنّزاعات، وتمتدُّ أعراضُها سنواتٍ عقبَ حدوثِ الكارثة.

ويذهب «عثمان» إلى أنَّ القوى الإرهابيّة تكونُ على درايةٍ تامّة بِمَا يُؤثّر في شخصيّة الطفل والتي تبدأُ بتحطيمِ نفسيّتهِ من جميعِ الجوانب حتّى يُصبحَ سهلَ التّحويل والتّصنيع حسبَ مبادئهم وما ينظُرون إليهِ.

وينصحُ الأخصائيّ النّفسيُّ بعلاجِ هؤلاءِ الأطفالِ في مراكز العلاج النّفسي حتى يتمَّ إعادةُ تأهيلِهم منْ جَديدٍ في الحياة والاستفادة من طاقاتهم في المستقبل.

حتى يتمكّنَ الطفلُ من الاندماجِ في الحياة الطّبيعيّة المُعاشَة والتي كانَ يعيشها منذُ البداية، لابُدَّ من اللّجوء إلى الخُطط العلاجيّة النفسيّة التي تَضمنُ الحياةَ الآمنةَ للطّفل، ولا سيَّما بعد عودة الأطفال المُحَرَّرين إلى حُضنِ عوائلهم مُباشرةً.

مُحَرّر الإيزيديّين «أبو شجاع دنايي» الذي حرّر /٣٠٠/ طفل منْ قبضةِ التنظيم بعد شهرين منْ دخوله «شنكال»، وأشرف على تحرير الأطفال الخمسة، أشارَ إلى أنَّ حجمَ الأزمة يتقلّصُ بصغَر عُمرِ الأطفالِ المُحرَّرين، وبحُكم اندماجِهم مع العائلة والأطفال ممّن في أعمارهم والمُخالطة بينهم يَتقبّلون العودة مُجدّداً إلى طبيعتهم لكنَّ حجمَ المشكلة يزدادُ التهاباً مع مَنْ هُمْ أكبرُ سِنّاً ولا سيَّما في غيابِ معاهد تأهيلٍ ومنظماتٍ إنسانيةٍ مَعنيّةٍ بصحّة الطفل النفسيّة والعقليّة والجسديّة، فَهُم يعيشونَ كأيّ نازحٍ في مخيّماتٍ تفتقرُ للكثيرِ منْ مُقومات العيش.

مأساةُ العوائلِ الإيزيديّة ممّن خُطف أحبّتهم لمْ تنتهِ بعودةِ فَلذات الأكباد، بَل الواقعُ لمْ يحتملْ حجمِ الكارثة التي سبّبها «داعش» بعودة الأطفال مُقاتلينَ أتخمَتْ أدمغتُهم، وسُمّمتْ ببراثنِ التّطرّف الذي قد ينثرُ بذورهُ ويُفجّرُ ألغامهُ في أحشاء المجتمع الإيزيدي الذي يُرجّح الكثيرونَ أنَّهُ سيكونُ في المستقبل القريب، ويتخطّى هَوْلَها حجم الإبادات التي ارتُكبتْ بحقّهم عبر التاريخ، ولا سيما مع استمرار وقوف المجتمع الدولي مكتوفَ اليدينِ وتَحييد نفسهِ عن أداءِ دورهِ الإنسانيّ حيالَ الأزماتِ الكارثيّة التي تعصفُ بالمنطقة.

مدنيّين بالحماية، ونظراً للضّعف البالغ الذي يتّسمُ به الأطفالُ تُنصُّ اتفاقيات جينيف «١٩٤٩» وبروتوكولاها الإضافيان «١٩٧٧» على سلسلة من القواعد التي تُولي للأطفال حمايةً خاصّةً، ويتضمّنُ بروتوكولاها الإضافيّانِ ما لا يَقلُّ عن /٢٥/ مادّةً تُشيرُ إلى الأطفال، لكنّها لمْ تُلقِ بظلالها على الأطفال الإيزيديّين الأسرى منهُم والمُحرّرين والذينَ وصلَ عددهُم إلى /١٢٠٠/ طفل من أصل /٣١٦٦/ حسب تصريحات الناشط «علي الخياط « مسؤول مُنظمة «يَزْدَا» غَير الحُكوميّة المعنيّة بالشّؤون الإغاثيّة للمُتضرّرين الإيزديّين من كارثة «شنكال».

«الخياط» تحدّث لــ«صُوَر» عن منظمات ومراكزَ صحيّة ونفسيّة واجتماعيّة أخذت على عاتقها مَهمّة إعادة تأهيل الصّحّة النفسيّة للأطفال المُتضررين، لكنّها أقلُّ بكثيرٍ من احتياجات الأطفال، وأشار الناشط الإيزيدي إلى برامج «يزدا» الخاصّة بإعادة تأهيلِ الأطفالِ وإدماجهم في المجتمع، لكنّ قلّة الإمكانات الماديّة حالتَ دونَ تغطية جميع الحالات وأضاف: « يخضعُ الأطفال لدورتين في الأسبوع الواحد داخل مركز منظمة «يزدا»، وتتخصّص بأنشطةٍ فنيّةٍ وتعليميّةٍ واجتماعيّةٍ وبعضها ترفيهية.

مراكز لتأهيل ودمج ذوي الاحتياجات الخاصّة

سونيا العلي

أصبح الطفل عمران حمو يعيش حياة شبه طبيعية بعد أن بدأ بارتياد مركز (نوروز) لذوي الاحتياجات الخاصة، فقد بدأ يمارس الرياضة، ويلقي التحية ويلعب مع الأطفال الآخرين، ويتعلّم مبادئ القراءة بعد أن كان يعيش حياة يأس وعزلة قبل ذلك.
مركز (نوروز) يتمركز نشاطه في مدينة الحسكة، وهو مركز مدنيّ مستقلّ غير حكومي، يعنى بفئة الأطفال المصابين بمتلازمة داون (منغوليين)، بهدف دمجهم مع أقرانهم وتعريف المجتمع بهم.

يتحدّث لمجلّة صُوَر مدير المركز هجار معو قائلاً:» كانت البداية عن طريق دعوة بعض الأطفال للاحتفال بيوم الطفولة العالمي، حيث حدث اختلاط بين الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة والأطفال العاديين، ثم بدأنا بمرافقتهم في فترات لاحقة إلى بعض المدارس والروضات لتعريف الأطفال بهم، وتشجيعهم على اللعب معهم بدلاً من الخوف والنفور منهم، وبعد ذلك قمنا بتأسيس المركز عام ٢٠١٥ بعد أن خضع جميع العاملين فيه لدورات تأهيل في كيفية التعامل مع المُعاقين، وخاصة فئة متلازمة داون، وقد بلغ عدد المستفيدين ١٢ شخصاً من جميع الفئات العمرية ومن كلا الجنسين،ونبذل جهوداً لاستقبال فئات أخرى من المُعاقين.»
ويؤكّد المدير هجار بأن مهمّة المركز تقوم على دمج الأطفال في المجتمع، لأن لهم نفس الحقوق التي يتمتّع بها الأطفال الآخرون، بما في ذلك الحقّ في تطوير إمكانيّاتهم لتحقيق مستقبل أكثر إشراقاً لهم من خلال تقوية أجسادهم بالتمرينات الرياضية؛ لأنهم يعانون عادة من مرونة وضعف في العضلات والمفاصل، ونقوم بأنشطة جماعية كالحفلات والرحلات إضافة إلى الدروس التعليمية المناسبة لمستوياتهم الجسدية والفكرية.
الطبيب وليد الحسين من ريف إدلب يتحدث عن هذه الإعاقة قائلاً:» تعود تسمية متلازمة داون إلى الطبيب البريطاني جون داون الذي كان أول من وصف هذه المتلازمة وسمّاها في البداية باسم (المنغولية) لأنه رأى الأطفال المولودين بها لهم ملامح وجهيّة تشبه العرق المنغولي.»
كما أشار الطبيب إلى أن ولادة واحدة تحدث بمتلازمة داون من بين ٨٠٠ حالة ولادة في جميع أنحاء العالم، وتزيد نسبة إنجاب طفل مصاب بزيادة عمر الأم، كما يؤكّد أن الأشخاص ذوي متلازمة داون قادرون على التعلّم إذا أثرينا حياتهم بدوافع وحوافز، وأعطيناهم فرص التعلّم المبكر والمناسب ووفّرنا لهم التشجيع المستمرّ.
كما يعرّف الطبيب بمرض التوحّد بأنه»يظهر عادة لدى الأطفال قبل السنة الثالثة من العمر ويؤثّر على نشأة الطفل وتطوّره، وسمّي المرض بهذا الاسم لأن المصاب به ينطوي وينعزل ولا يتمكّن من التواصل مع الآخرين بطريقة طبيعية.»

هندرين حج علي تعمل داخل المركز تتحدّث لصُوَر قائلةً:» أعمل على تحديد مستويات الذكاء والأشغال والقدرات والميول الخاصة بالمتدرّبين الجدد الملتحقين بالمركز وتقييم القدرة العقلية لهم؛ لكي يخضع كل منهم لأسلوب تعامل يتوافق ويتلاءم مع ميوله واستعداداته وقدراته، كما تشمل خدمات المركز إشراك كل من الوالدين في عملية الإرشاد وتوفير الفهم لهما لمواجهة المشاكل المتوقّعة، وتوفير النصح بشأن الخدمات التي يحتاج لها الطفل المعاق، كما نستفيد من المعلومات التي يقدّمها الوالدان عن سلوك الطفل في المنزل ومدى تقدّمه.»

وتنوّه السيدة هندرين بأن الهدف من التأهيل النفسي الذي يقدّمه المركز هو مساعدة المُعاقين على فهم أنفسهم من جهة، وفهم العالم المحيط بهم من جهة ثانية؛ ليكون قادراً على التكيّف المناسب نتيجة هذا الفهم، ومساعدته على معرفة إمكاناته الجسمية والعقلية والاجتماعية لتطوير اتّجاهات إيجابية سليمة نحو الذات، وتخفيض التوتّر والكبت والقلق الـذي يعاني منه الطفل المُعاق وضبط عواطفه وانفعالاته وتعديل بعض عاداته السلوكية الخاطئة.
وعن الصعوبات التي تواجه عمل المركز تردف السيدة هندرين قائلة:» نعاني من قلّة الإمكانات المادية لعدم وجود أي جهة

خاص «صور»

خاص «صور»

خاص «صور»

داعمة، إضافة إلى قلّة اهتمام الأهالي بأطفالهم المُعاقين، والعمل على حبسهم داخل المنازل دون الالتفات إلى أنهم أشخاص من حقهم أن يعيشوا ويتطوّروا، ويحتاجون إلى أشياء وخدمات وطرق تعليم خاصة بهم، فمعظمهم موهوبون في نواح كثيرة، يثبتون قدرتهم على تحقيق الكثير من الأمور.»
والد الطفل المُعاق عمران يبدي الفرح والتفاؤل بالتقدّم الواضح الذي طرأ على ولده بعد ذهابه إلى المركز، فيقول:» كان عمران منطوياً على نفسه، شرساً وعدوانياً مع الجميع حتى مع أخوته، حتى أنني فقدت الأمل بإمكانية تحسّنه، ولكنه تغيّر كثيراً وبشكل إيجابي بعد دوامه على الذهاب إلى المركز، فقد أصبح هادئاً ومطيعاً، يتكيّف مع الأسرة والأصدقاء والمجتمع ويتعلّم مثل الأطفال العاديين، لذلك أشجّع كل الآباء على إرسال أولادهم المُعاقين»

أمّا في إدلب، فقد قامت منظمة (ميديكال ريليف) بافتتاح مركز للأطفال المُعاقين في قرية كنصفرة في ريف إدلب، يتحدّث عنه مدير المركز علي قراط قائلاً:» رأينا بأن فئة الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة مهمّشة نسبياً، وذلك عندما عملنا في إحدى المدارس ولاحظنا وجود بعض الطلاب المُعاقين غير قادرين على الاندماج ضمن العملية التعليمية مما تطلّب إنشاء مركز خاص بهم، يعمل فيه أخصائيّون في الإرشاد النفسي لتقديم أنشطة تراعي الفروق الفردية والعقلية والجسدية والعمرية للأطفال، من خلال بعض النشاطات التعليمية الهادفة، مثل كتابة الأحرف والأرقام وبعض الأنشطة الترفيهية التي تساعد الطفل على الاندماج مع أقرانه، كما يتمّ تعليم الأطفال ذوي القدرة العقلية المحدودة بعض العادات اليومية مثل تناول الطعام وغسل اليدين ومسك فرشاة الأسنان؛ ليتمكّنوا من الاعتماد على أنفسهم كما نقدّم أنشطة عامّة لكسر حاجز الملل والوحدة، وتتطوّر الأنشطة بتطوّر كل طفل.

ويبيّن المدير بأن عدد المستفيدين هو ١٠ أطفال تتراوح أعمارهم بين ٦-١٢ عاماً، والدوام يومياً من الساعة الثامنة صباحاً وحتى الثانية عشرة ظهراً، يتمّ خلالها تقديم وجبة طعام للأطفال.
وعن المناهج التي تُقدّم للأطفال داخل المركز يضيف المدير قائلاً: « نقدّم البرامج التربوية التي تتضمّن تعديلات في المناهج والوسائل وطرائق التعليم استجابة للحاجات الخاصة للتلاميذ «
والدة الطفلة غادة من مدينة البارة تتحدّث عن إصابة ابنتها بمرض التوحّد ومدى استفادتها من المركز قائلة:» أرسلت ابنتي إلى إحدى مدارس المدينة، لكنها لم تحقّق أي تقدّم تعليمي لعدم وجود كادر مختصّ لتعليم المُعاقين، ممّا جعلني أفكّر بالسفر إلى إحدى الدول الأوروبية رغم المصاعب والمخاطر؛ علّني أجد من يرأف بها ويهتمّ لأمرها، ولكن بعد افتتاح المركز وجدت فيه المستقبل الذي كنت أبحث عنه لطفلتي، فقد تمكّنت من الحصول على رعاية وأسلوب تعليم خاص، وباتت تعيش حياة أقرب ما تكون للطبيعية.»
الاهتمام بالأطفال بشكل عامّ والمُعاقين منهم خصوصاً، يُعتبر اهتماماً بالمجتمع بأسره، ولكن في سوريا، وفي ظل سنوات الحرب القاسية التي فرضت واقعاً مؤلماً على الجميع، تندر الجمعيات التي تلقي بالاً لذوي الاحتياجات الخاصة، فلا يُهتَمّ لأمرهم في كثير من المناطق سوى عائلاتهم المُنهَكة.

حرية المعتقد والردّة الدينية في الدول ذات الغالبية المسلمة

د. نائل جرجس

تعدّ حرّية المعتقد من أبرز التحدّيات التي تواجه الدول ذات الغالبية المسلمة لما لها من دور في عرقلة تقدّم ونمو مجتمعاتها والقضاء على مستبديها وتحقيق التعايش الديني بين مواطنيها قبل ترسيخ أسس الديمقراطية التي تضمن حقوق المسلمين وغيرهم على السواء. فيُعاني مواطنو هذه الدول من انتهاكات خطيرة وممنهجة لحقهم في حرية المعتقد الذي يجب أن يشتمل على حرية الإيمان أو عدم الإيمان، كما حرية الانتماء أو عدم الانتماء إلى دين أو طائفة معيّنة، وبالتأكيد حقّ تغيير الدين والتعبير عنه علناً، فضلاً عن حرية ممارسة شعائر الأديان والسماح ببناء أماكن العبادة وترميمها. إلا أنّ أغلب الدول الإسلامية تفرض على مواطنيها منذ ولادتهم الانتماء إلى ديانة عائلاتهم، المُعترَف بها رسمياً، وتُطبّق عليهم أنظمة تعليمية وقوانين دينية قد لا يؤمنون بها، فضلاً عن تقييد تغيير الدين إلى غير الإسلام والتضييق أو حتى حظر بعض الديانات وإقامة شعائرها والتبشير بها.

وتكاد تكون معالجة مسألة الردّة الدينية، التي لاتزال تجرّمها بعقوبات متفاوتة أغلب الدول العربية، حجر الأساس للتمهيد لاحترام حرية المعتقد. فتطال تهمة الردّة، أو العدول عن الدين الإسلامي، العديد من فئات المجتمع وشرائحه: المنتمون إلى أقلّيات دينية غير مُعترف بها في الإسلام كالبهائيين والأحمدية أو هؤلاء الذي يرغبون باعتناق دين جديد غير الإسلام الذين سُجّلوا فيه منذ ولادتهم أو التحقوا به طوعاً أو كرهاً، والذين يعلنون إلحادهم وعدم إيمانهم أو الذين يفسّرون الدين الإسلامي بطريقة غير تقليدية تصالح بينه وبين أسس الديمقراطية. كما أنّ إشكاليات الردّة الدينية تمتدّ لتطال من يقوم بالتبشير بدينه وهو ما يندرج ضمن إطار الحقّ بحرية التعبير والحرية الدينية، طالما أنّ نشر الدين يتمّ بوسائل غير قسرية.

وقد أدّت تهمة الردّة عن الإسلام في المنطقة العربية إلى انتهاكات حقوقية مختلفة طالت المسلمين وغيرهم في إطار عقوبات تشريعية رسمية تطبّقها الأنظمة الحاكمة. فتتراوح عقوبة الـردّة بين الإعـدام في ظلّ الأنظمة ذات الأيديولوجية الإسلامية المتطرّفة كحال النظام في السعودية والنظام في السودان، وبين التجريد من الحقوق السياسية والمدنية في دول أخرى أقل صرامةً في تطبيق الشريعة مثل الأردن ومصر وسوريا. فقد جاء في المادة (١٢٦) من القانون الجنائي السوداني: «١- يُعدّ مرتكباً جريمة الردّة كل مسلم يروّج للخروج من ملّة الإسلام أو يجاهر بالخروج عنها بقول صريح أو بفعل قاطع الدلالة. ٢- يُستتاب من يرتكب جريمة الردّة ويمهل مدة تقرّرها المحكمة فاذا أصرّ على ردّته، ولم يكن حديث عهد بالإسلام، يُعاقَب بالإعدام.٣- تسقط عقوبة الردّة متى عدل المرتدّ قبل التنفيذ». وفي السعودية، يقبع الشاعر الفلسطيني أشرف فياض في السجن بعد اعتقاله والحكم عليه بالإعدام بتهمة الردّة

صورة لعناصر من تنظيم داعش قبل تنفيذ حد الردة على أحد المواطنين السوريين بمحافظة حمص

والإلحاد، غير أنّه تمّ تخفيف حكمه عام ٢٠١٦ إلى السجن لثماني سنوات و٨٠٠ جلدة بعد عدوله عن ردّته بحسب قرار الحكم.

أمّا في الدول العربية الأقلّ صرامة في تطبيق التشريعات الإسلامية كأغلب دول المشرق، فإنّ الوضع القانوني للمرتدّ ملتبساً، ويعود ذلك إلى عدم وجود تشريعات إيجابية وصريحة تحظر العدول عن الإسـلام. مع ذلك، يلجأ القضاة لتفادي السماح بترك الدين الإسلامي إلى مبدأ عدم التعارض مع النظام العام، الذي غالباً ما تُعدُّ الشريعة الإسلامية أحد أركانه الرئيسية. كما أنّ ذكر دساتير هذه الدول للإسلام كدين للدولة أو للشريعة الإسلامية كمصدر لتشريعاتها من شأنه أن يؤدّي إلى منع الجهاز القضائي من قبول إجراءات ترك الدين الإسلامي، باعتماده أيضاً على مواد نصّت عليها قوانين الأحوال الشخصية تُلزِم القضاة بالرجوع إلى الرأي الثابت لأبي حنيفة في حال غياب النصّ القانوني، وهذا ما يضطرّهم إلى الأخذ بالمدرسة الحنفية، أي بالنصوص الـواردة في كتاب قدري باشا التي تمنع على المسلمين من حيث المبدأ تغيير دينهم. وينصّ كتاب قدري باشا على عقوبات بحقّ المرتدّ، منها تفريقه القسري عن شريكه الزوجي وحرمانه من حضانة الأطفال ومن النفقة الزوجية والإرث والسلطة الأبوية، إلخ. وقد لا يجري تطبيق هذه القيود في بعض حالات الارتداد وخاصة غير المعلنة، ولكنّ مؤسسات الدولة تستمرّ في معاملة «المرتدّين» على أنهم مسلمون وبالتالي تطبّق عليهم وعلى أُسرهم تشريعات إسلامية في مجال الأحوال الشخصية.وعلى الرغم من أنّ معظم قوانين العقوبات في هذه الدول لا تلحظ أية عقوبة جزائية بحقّ المرتدّ، لكن هذا الأخير يمكن أن يواجه عقوبة السجن بناء على النصوص أو المواد القانونية التي تتعلّق بالتشهير بالدين. وتعدُّ قضية الإسلامي الليبرالي نصر حامد أبو زيد خير مثال على ذلك، حيث أصدرت محكمة النقض المصرية بشأنه قرارها الصادر بتاريخ ٥ آب/أغسطس ١٩٩٦ والقاضي بتفريقه قسراً عن زوجته بحجّة بطلان زواج غير المسلم بالمسلمة.

وعلى الصعيد غير الرسمي، تستمرّ جماعات تكفيرية ناشطة في الشرق الأوسط باللجوء إلى تهمة الردّة كأحد أبرز الذرائع لارتكاب أعمال القتل بحقّ المسلمين. ويبرّر المتطرّفون ذلك دينياً من أجل محاربة المنتمين إلى تيار إسلامي آخر أو مَن لا يقوم بتطبيق الواجبات الدينية التي يفرضها تفسيرهم المتشدّد للشريعة. ويمتدّ تطبيق حدّ الـردّة على كلّ معارض للتطرف الديني أو تارك الصلاة أو حتى من يتلفّظ بقول تعتبره تجديفاً بالله وازدراءً بالدين الإسلامي. وفي عام ٢٠١٦، أُعدم الشاعر السوري بشير العاني وابنه البكر إياس بتهمة الـردّة على يد عناصر تابعة لتنظيم الدولة الإسلامية (داعش).

تؤثّر إذاً الردة الدينية على المسلمين وغير المسلمين منتهكةً حقوق الإنسان الأساسية ومسبّبةً توتّرات واحتقانات دينية واستمراراً لسطوة رجال الدين المتطرّفين أو خطر وصولهم للسلطة، الأمر الذي تستخدمه الكثير من الأنظمة الاستبدادية كذريعة لتعطيل الانتقال الديمقراطي. هذا وأسفرت انتهاكات الحقّ في الحرية الدينية ولاتزال عن حروب وصراعات دموية مفجعة، استطاعت بعض المجتمعات، خاصة الأوروبية، تجاوزها باحترام مبادئ حرية المعتقد وإبعاد الدين عن السياسة والقوانين. بينما لا تزال المعركة مستمرّة لاستئصال كافة تشريعات الردّة الدينية وجعل النصّ القرآني «لا إكراه في الدين» سائداً في البلدان ذات الغالبية المسلمة لتبصر عليها نور الديمقراطية كما حدث في المجتمعات الغربية.

هل سيسعى المسلمون للمصالحة بين دينهم واحترامه لحرية المعتقد حتى ينعموا وبقية المواطنين بحقوق الإنسان ؟ وهل سيشاركهم غير المسلمين في نضالهم الهادف إلى نهضة بلدانهم وخروجها من مآسيها وآلامها بما يترك انعكاساته وآثـاره على مكوّنات هذه المجتمعات برمّتها ؟

سياحة المفاوضات السورية ـ السورية

– مسار عقيم ومفاوضون متّهمون ويتمتّعون بليال أوربيّة

– مفاوضون بعطورات فرنسيّة وسيجار كوبيّ والسوريّ جائع

– ١٤ مليون سوري يحتاجون المساعدات أحقّ بما يُنفَق على المفاوضات

– الأمم المتّحدة: ٨ مليارات دولار متطلّبات خطّتنا الإنسانية لعام ٢٠١٧ لم يجمعنا أقلّ من نصفها

نضال يوسف

تحاول (صُوَر) طرح مقاربة، غير اعتيادية، تتعلّق بتقييم المسار التفاوضي السوري، والنتائج التي وصل إليها، والفوائد المتحقّقة، مقابل حجم المال الذي أنفقه المفاوضون (المعارضة والنظام والفريق الأمميّ) من أجل التوصّل إلى حلّ يحقن الدماء، ويوقف الدمار. فيما يعلم الجميع أن ازدياد مروحة الاحتياجات الإنسانية للمتضرّرين من الحرب السورية، يحتّم تسريع المسار التفاوضي، وإلا ليذهب ما ينفق عليه من مال، لمصلحة ضحايا الحرب.

مشروعيّة الأسئلة

لا توجد إجابة واضحة، وموقف استشرافي معقول، يحدّد مدى المسار التفاوضي بين النظام السوري والفصائل المعارضة. سؤال إلى أين؟ واضح المعالم، لكن لايمكن اختصاره بما يرضي الطرفين، للتأسيس لمرحلة الانتقال السياسي، وإحداث تحوّل عميق في بنية السلطة الحاكمة، دون الغوص في التفاصيل، لأن الأمر على ما يبدو مازال مبكراً.

أمّا سؤال إلى متى هذه الاجتماعات التفاوضية السفسطائية الماراتونية في فنادق النجوم الخمسة؟ فيستمدّ مشروعيّته من عدّة عوامل أساسية أبرزها: استمرار توحّش الحرب، وفقدان الثقة التامة بين كل الأطراف المتحاربة والمتفاوضة في آن، والإقرار العالميّ بأن الأزمة السورية هي الأسوأ إنسانياً في العصر الراهن، إضافة إلى اتّفاق ـ ضمنيّ على مايبدو ـ بين المتحاربين، يتعلّق بحرمان السوري من حقّ الحياة. أمّا المُنجَز السياسي التفاوضيّ الوحيد الذي يمكن الحديث عنه، فهو خارج إرادة الأطراف المتحاربة. فبيان جنيف ١، الذي قبلت به كل الأطراف لم يوقّعه جانب سوري، بل كان حصيلة ما اتّفقت عليه مجموعة العمل الدولية حول سوريا. واتّفاق أستانا الذي حدّد «مناطق تخفيف التوتر» وشكّل أرضية تفاوضية جديدة، كان السوريون شهود عليه، وضامنوه الأساسيون روسيا وإيران وتركيا. وهذا لايعني أن من يتحكّم بالمسار التفاوضيّ هم غير سوريين، بل أن من يدير الحرب وله مصلحة في استمرارها، هم غير سوريين حتماً، ليكتفيَ السوريون بأنهم وقودها المشتعل.

خيوط متشابكة

حتى الآن لا توجد نتائج وازنة، للمسار التفاوضيّ، عقب ستّ سنوات متواصلة من الحرب السورية. ولم تنضج بعد ذهنية قادرة على جمع خيوط التوافق، فيما سجّلت الأمم المتحدة فشلاً جديداً وذريعاً في معرض معالجتها وتدخّلها في الأزمة السورية، ولم ترتقِ أفكار وخطط ثلاثة مبعوثين دوليين، لوضع المسار التفاوضيّ على سكّةَ صحيحة، تُلزِم المتحاربين بالتفاوض الحقيقي، لأن هذا خارج قدرة المنظمة الدولية.

والقضية الأهمّ، ما كتبه جهاد مقدسي الناطق الرسمي السابق باسم وزارة خارجية النظام وعضو منصة القاهرة، في ٣ تموز على صفحته على الفيس بوك، ردّاً على الكاتب السوري حسن م يوسف، إذ وصف مقدسي ما يجري بجنيف « بالسيرك» وقال: «الابتعاد عن السياسة هو نتيجة لمراجعة وليس نأياً أو انكساراً، لقد أصبحت أخجل من زراعة الأمل، والضحك على نفسي قبل الضحك على الناس ممّا يحدث في سيرك جنيف.» إنها الحقيقة التي لايقولها السياسي إلا مرغماً».

تفاوض أم خيانة؟

السؤال المرير: ألا يُعدّ المال الذي يُنفَق على المسار التفاوضيّ، كافٍ لسدّ النقص الهائل في الاحتياجات الإنسانية في سوريا؟ المشهد التفاوضيّ السوري ـ السوري يظهر لنا مفاوضين من طراز غير رفيع، في العرف الدبلوماسي. وتتجاوز الاتّهامات بين وفد النظام الدائم ووفود المعارضة ومنصّاتها المتغيّرة، تهم العمالة والخيانة والتبعية والديكتاتورية والقتل، لتصل إلى الإرهاب. وفود تتّهم بعضها بارتكاب جرائم إرهابية، ودعم وتمويل إرهابيين، وتجلس قبالة بعضها البعض.

ببساطة شديدة، حمّى الضغوط الخارجية القادمة من داعمي كل طرف وفصيل، لا يمكن نكرانها، لكن ما نريد التركيز عليه، هي هذه الوجوه المكتنزة، والتعابير المنضوية تحت عباءة الانتماء السياسي والديني، والمبارزة الكلامية التي مع كل حرف فيها يسقط قتيل سوري. إنها أضواء الفنادق الجميلة، وبريق العواصم الأوروبية المحبّب، وجولات التسوّق المذهلة، وصور السيلفي التي تعقب كل نشاط للوفود، وحبّ البيانات التي تطلق من منابر دولية. هذا هو المسار التفاوضي السوري باختصار، ويلفت مصدر من بين عداد الوفد الإعلامي للنظام لـ (صُوَر) أن الحديث الأساسي بين أعضاء الوفد لايرتبط بما يُنجز، أو ما هو متوقّع من كل جولة، كون الجميع قادمين لمفاوضات بسقوف واطئة، وطموحات معدومة، فيصبح سؤال ما مقدار المكافأة المالية التي سيحصل عليها كل عضو وفد، سؤالاً جوهرياً؟ وفي جولات تفاوضية سابقة تراشق وفدا النظام والمعارضة، على صفحات التواصل الاجتماعي، بالانهماك بالتسوّق، فيما عدّاد القتل والدمار متسارع.

الفاتورة على قدر الأداء

تكلّف الليلة الواحدة في فندق خمس نجوم، ١٠٠ دولار، في الحدّ الأدنى متضمّنة طعام الفطور فقط للشخص الواحد. وعليه يمكن القياس بسرعة كم تكلّف الليلة الواحدة لمئات المفاوضين ومرافقيهم ووفودهم الإعلامية. يُضاف إليها كلفة الطعام وغيرها، وفواتير التسوّق، وثمن تذاكر السفر والتنقّل، واللباس، وربما الهدايا. ثمّة ص ناديق ومحاسبون جاهزون للتسديد الفوري. وكما ينقل مصدر مطّلع وحاضر في المفاوضات لـ (صُوَر)، كلما كان أداء الوفد المفاوض ضمن حدود التعليمات التي تصدرها الجهة الداعمة، كلما كان السخاء أكثر. هكذا هو التفسير العلمي لغياب أخلاقيّات التفاوض عن الوفود، وهذا ما يدفع الوفود لتوجيه اتّهامات والتراشق بعبارات هدفها دغدغة مشاعر الجمهور.

مفاوضون غير واقعيّين

لكن المسار التفاوضي الذي يبدي جميع الأطراف تمسّكهم الظاهري فيه، يحتاج إلى تنسيق، وتدابير، وتجهيزات. ويسبق الجولات التفاوضية، مؤتمرات واجتماعات، ولقاءات ثنائية وربما أكثر، وإعدادات مختلفة، وهذا يعني إنفاق المزيد من المال، وفواتير كبيرة.

ملايين الدولارات التي تُنفَق على المسار التفاوضيّ، ربما تكفي لسدّ جزء من الاحتياجات الإنسانية للسوريين، وتقديم مساعدات إغاثية لمحتاجيها الهاربين من الاقتتال، أو المحاصرين رغماً عنهم في مناطق الحرب. الإيمان بالمسار التفاوضيّ السياسي على أهميّته الملحّة، لم يعد كافياً، رواتب مفاوضين، ومبعوثين دوليين، ونفقات إدارية لتأسيس مكاتب ومنصّات إدارية وسياسية، تلتهم ملايين الدولارات، باستثناء الهدايا والمكافآت التي تستولدها المواقف المتعنّتة، والانحدار الكبير إلى القاع السياسي. الأناقة الكاملة لإعضاء الوفود المتفاوضة، توحي بأن المفاوضات تتعلّق بمستقبل الطاقة، وبأسعار النفط، وبوضع المناخ. الوجوه المكتنزة تعكس أنه لا يوجد جوع في سوريا، الخدود الوردية تدلّ أن الوضع الصحّي على مايرام، والألسنة التي تنطق بالعبارات المنمّقة تشي بأن التعليم في أفضل حالاته. الصورة النمطيّة التي يعكسها المتفاوضون، مع إسقاط مواقفهم، لا توحي بأن سوريا دخلت في العام السابع للحرب. السبع العجاف للحرب، يقابلها أكثر من جنيف وأستانا وغيرهما من مؤتمرات وجولات عجاف بامتياز.

خارج الصندوق

ثمّة سلّة خامسة، تضاف إلى السلات الأربعة المتّفق عليها في جنيف، بين النظام والمعارضة، ليست بأهمّية تلك السلات، لكنها مؤثّرة بالنسبة لملايين السوريّين المهجّرين، والمقيمين في مخيّمات اللجوء، أو بالنسبة للنازحين في الداخل السوري.

القضية بتفاصيلها هنا، بحجم المأساة السورية، وإنسانيّتها المفقودة، لكن منذ جنيف الأول ٢٠١٢، ولغاية جنيف ٧ المرتقب عقده قريباً، إضافة إلى جولات أستانا، ومع المرور بكل محطّات التفاوض المباشرة والثنائية، واللقاءات التي قادتها دول عربية وأجنبية، لدفع المسار السياسي، وتشكيل منصّات مختلفة، كل هذا يبدو لزوماً للتوصّل لحلّ سياسي، لكنه بالمقابل يحتاج تكلفة مالية.

المفاوضون في فنادق خمس نجوم، ويسافرون على متن طائرات يجلسون في مقصورات الدرجة الممتازة، فضلاً عن الهدايا، وسياحة المفاوضات. هكذا يعبّر سوريون يبحثون عن رغيف خبز، وحبّة دواء، وقلماً ودفتراً للتعلّم. كما في رفض جمهور الفرقاء، أيّ حلّ سياسي لايضمن مكتسبات معيّنة، مايثير تساؤلات إلى متى تنفق هذه الأموال، والسوري جائع؟ ويحتاج إلى مأوى؟ وإلى تلبية متطلّبات الصحة؟ فضلاً عن وقف هدر كرامته، واستباحة دمه؟

قضيّتان أساسيّتان

يذهب المفاوضون إلى جنيف وأستانا، يختلفون على التمثيل، والمنصّات، وهل يتفاوضون وجهاً لوجه، أم عبر وسيط، وغيرها من بروتوكولات التفاوض المعروفة. لكنهم يضعون خلف نظاراتهم السوداء قضيّتن أساسيّتين: الأولى تتعلّق بنقد لاذع وجهته الأمم المتحدة في معرض تقييمها للوضع المأساوي في سوريا. والثانية حصيلة سبع سنوات من الحرب التي هدرت كرامة الإنسان السوري، وأعادته إلى عصور سحيقة في القدم.

الكلام الصادم

على ما يبدو لا يتأثّر المفاوضون، بالعبارات التي تحفر في جسد المأساة السورية، ولايعيرون انتباههم، لما يُقال من الآخرين، الذين يُبدون نوايا حسنة على الأقلّ لوقف الاقتتال.

قبل عامين أكّد وكيل أمين عام الأمم المتحدة للشؤون الإنسانية ومنسّق الإغاثة في حالات الطوارئ، ستيفن أوبراين، أن «الحياة بائسة» بالنسبة للكثيرين من السوريين الذين بالكاد ينجون بأرواحهم، إنهم يُحرمون «عَمْداً» من الغذاء والدواء، ويواجه العديدون منهم «ظروفاً بشعة» جرّاء الخراب والجوع والمجاعة. ليختم بالقول: يجب علينا جميعاً أن «نشعر بالخجل» لأن هذا يحدث على مرأى ومسمع منّا.

لا أحد يشعر بالخجل، لا أحد يريد المضيّ قدماً في وضع حدّ للانتهاكات الفاضحة لحقوق الإنسان، لا يوجد من يرغب في وضع وردة بدلاً من قذيفة في فوهة المدفع.

الخجل من الأرقام

في القضية الثانية، يذهب المتفاوضون لجنيف، وأستانا، ومن المتوقّع أنهم صاروا يعرفون حارات هاتين المدينتين، ومواعيد الباصات والقطارات فيهما، وأسماء المطاعم، والكازينوهات، ومحلّات الألبسة والعطور الفاخرة، والوجبات البحرية. لكنهم لا يتذكّرون على الإطلاق هذه الأرقام المهولة: اعتمدنا في (صُوَر) على معلومات صادرة عن الأمم المتحدة، باعتبارها الجهة الأكثر حياديّة في الأزمة السورية، وتجاهلنا كل الدراسات التي تقدّمها مراكز الأبحاث، نظراً للتّهم الجاهزة التي يطلقها كل طرف عليها، ووصفها بغياب الدقّة والموضوعية والحيادية.

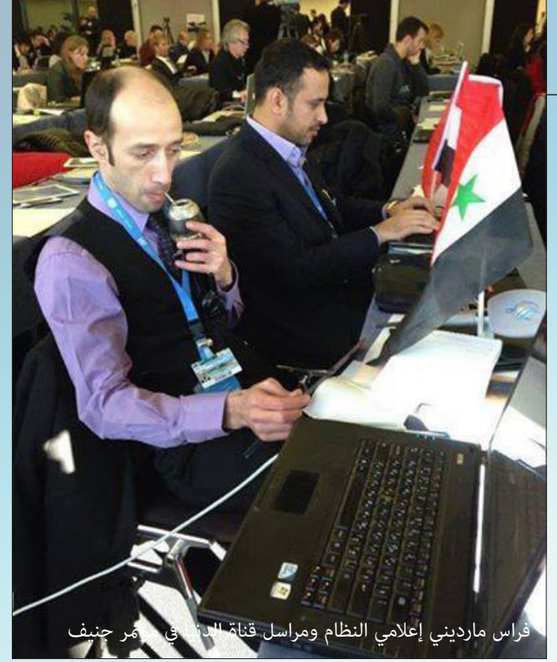
فراس مارديني إعلامي النظام ومراسل قناة الدنيا في مؤتمر جنيف

في خطّة الاستجابة للاحتياجات الإنسانية في سوريا ٢٠١٧، التي أعلنها مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية، ما يستدعي القليل من الخجل التفاوضيّ، لأن من سنأتي على ذكرهم، أحقّ بمال يُنفَق هدراً، وبلا طائل، وبلا نتائج مثمرة متوقّعة.

تشير الخطّة المذكورة، إلى وجود ١٣,٥ مليون شخص بحاجة إلى المساعدة الإنسانية والحماية منهم ٥,٧ ملايين بحاجة ماسّة. ويتوزّعون إلى ٥ ملايين طفل، ٢,٧ مليون شاب، ٨٠٠ ألف من كبار السنّ، و٥ ملايين من البالغين. وهناك ٥ ملايين سوري فرّوا من البلاد، وثلث السكان نزحوا لداخل البلاد، فيما ٨,٤ ملايين طفل تأثّروا بالنزاع. وتبيّن خطّة الاحتياجات الإنسانية أن ٤,٣ ملايين سوري بحاجة للمساعدة في مجال المسكن وهم بحاجة إلى مأوى، وأكثر من مليون سوري يعيشون في مساكن الملاذ الأخير(مدارس، مراكز خدمة اجتماعية، المباني العامة، المساجد، والمخيّمات والملاجىء المؤقّتة).

وتوضح الخطّة أن ١٢,٨ مليون شخص بحاجة إلى المساعدة الصحّية، فيما ٨٠٪ من السكان غير قادرين على الوصول إلى المياه الصالحة للشرب، وأن ١,٧٥ مليون طفل في سوريا غير ملتحق بالمدارس، وأن ٢,٩ مليون طفل دون الخامسة لم يشهدوا في حياتهم سوى النزاع.

وتؤكّد الخطّة أن ٨٥٪ من السكان يعانون الفقر، و٦٩٪ من السكان يعانون الفقر الشديد، و٣٥٪ يعانون من الفقر المُدقِع، وأن ٩ ملايين شخص بحاجة للمساعدة الغذائية، منهم ٧ ملايين يعانون من انعدام الأمن الغذائي، من بينهم ١,٥ مليون طفل، وأن ١١,٨ مليون شخص يفتقدون للكهرباء لمدة ١٨ ساعة باليوم، وأن ١٤,٩ مليون بحاجة للمساعدة في مجال المياه والصرف الصحّي والنظافة.

نقص التمويل

لاتحتاج الثورة إلى العطورات الباريسية، التي يشتريها المتفاوضون على حساب احتياجات الشعب السوري الواقف تحت المقصلة. السجائر الفاخرة، والسيجار الكوبي، الذي يشتريه قائد فصيل عسكري، أو متزعّم تيار سياسي، ورد اسمه في عداد المتفاوضين، لا ينفع الثورة، ولا يقرّر مشروعيّتها، أو يحدّد نجاحها. لكن أثمان هذه الأشياء، وغيرها كثير، يمكن أن يبعث برسالة طمأنة للدول والجهات المانحة التي تبحث في كل السبل لتغطية العجز في خطّتي الاستجابة الإنسانية والإقليمية للّاجئين.

تبلغ متطلّبات تمويل الخطّتين المذكورتين للعام الجاري ٨,٠٩ مليارات دولار، موزّعة كالتالي: متطلّبات التمويل لخطّة الاستجابة الإنسانية لعام ٢٠١٧ تقدر ب ٣,٤ مليارات دولار، ومتطلّبات التمويل المتوقّعة للخطّة الإقليمية للّاجئين وتعزيز القدرة على مواجهة الأزمات لعام ٢٠١٧ تقدّر ب ٤,٦٩ مليارات دولار. هذه المبالغ ليس من السهولة تأمينها، وليعرف المتفاوضون صعوبة تأمينها، نذكّرهم بالنقص التمويلي في خطّتي العام المنصرم، البالغ ٣,١٦ مليارات دولار. إذ بلغ النقص ١,٦٦ مليار دولار للخطّة الإقليمية للّاجئين وتعزيز القدرة على مواجهة الأزمات، من إجمالي التمويل المطلوب ٤,٥٤ مليارات دولار بنسبة تنفيذ ٦٣٪. ووصل النقص إلى ١,٥ مليار دولار في خطة الاستجابة الإنسانية، التي بلغ إجمالي التمويل المطلوب ٣,٢ مليار دولار، فيما التمويل المتلقّى بلغ ١,٧ مليار دولار، بنسبة ٥٣٪. وذلك وفقاً لمكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية في سوريا.

موضوع للنقاش

بشيء من الدعائية كتب محمد أنس الشامي، عضو مجلس شعب سابق عن مدينة حلب، ما أسماه، تفاصيل اختيار قادة الفصائل، وجاء فيه: في أعوام ٢٠١١، ٢٠١٢، ٢٠١٣، وبرعاية سعودية/إماراتية، عقدت عشرات المؤتمرات في تركيا، دعيت أنا شخصياً إليها جميعاً، ولم أشترك في أي منها لتنبّهي لخطورتها ونتائجها الكارثية المحتملة، وحذّرت منها لكن دون جدوى. وكان يُدعى لتلك المؤتمرات: رؤساء التنسيقيّات، وقادة الكتائب والفصائل السورية، وجنود وضباط منشقّون، وشخصيات بارزة، ومدراء وكالات الإغاثة.. الخ، وكانت تُعقد في فنادق فخمة، غرف أمراء وملوك، وجبات فاخرة، نادلات جميلات مختارات بعناية ذوات جمال وزي فاضح عن قصد وسبق إصرار.

ويقول الشامي: كان يديرها سعوديون وإماراتيون دهاة، دبلوماسية مرنة، ومن وراء الكواليس ومن خلال كاميرات مراقبة كان يتابعها خبراء أوروبيون وأمريكان يتقنون العربية، يحلّلون شخصيات الحضور وميولهم

ونفسياتهم ونقاط الضعف فيهم. وكان يُطرح على الحضور أسئلة من قبيل: كم كتيبة أو فصيل تحت إمرتك؟ إذ كانوا يدفعون لقائد كل كتيبة أو فصيل مبلغاً من المال محدّداً بعدد الكتائب أو الفصائل التي يترأسها ولو كانت وهميّة، لا يهمّ، المهمّ كم فصيل عندك؟ وكأنهم يشجعونهم على الانشقاق والشقاق والنفاق والكذب لقاء المزيد والمزيد من المال الذي يدفعونه بسخاء وبلا حساب. كان المنظّمون يكيلون المديح للحضور ويعدونهم بالمزيد من الدعم حتى إسقاط بشار الأسد، وهم قائلون: (أنتم أمل سوريا المستقبل وقادتها، ونحن معكم حتى إسقاط الأسـد)، وبعد أن آلت الأمور لفصائل تكفيرية في الشمال السوري، انقطعت تلك المؤتمرات فجأة، وانتهى الدعم واختفى.

ناقوس خطر

بعيداً عن تفاؤل السياسيين الدائم، ورغبة المفاوضين في استمراريّة جولات جنيف وأستانا وربما غيرها، في سعي منهم للتأكيد على التزامهم المسار التفاوضيّ، والتعبير عن رغبتهم في الحلّ السياسي، ثمّة ما يحتاج قرع ناقوس خطر، إذا لم تحدث المعجزة، وحصل اختراق يستحقّ فيه جميع الأطراف المتحاربون والمتفاوضون رفع القبّعة لهم. فالأمم المتحدة، وضمن خطّة الاستجابة الإنسانية العالمية ٢٠١٧، وبالفصل المتعلّق بسوريا، تتوقّع أن تتزايد الاحتياجات الإنسانية واحتياجات الحماية بشكل كبير، إذا استمرّت الأعمال العدائية. ورجّحت أن يؤدّي النزوح والظروف الاقتصادية والاجتماعية المتدهورة إلى عرقلة إدخال التحسينات على البنية التحتية الاجتماعية وفرص توفير سبل العيش. وفي هذا المناخ، سوف تواصل ملايين الأسر الاعتماد على الإغاثة الإنسانية لتلبية احتياجاتهم الأساسية.

اللّاجئون السوريون في دول الجوار	
تركيا	٢,٢ مليون ٨٨٪ منهم يعيشون خارج المخيّمات، البالغ عددها ٢٥ موزّعة على ١٠ محافظات
الأردن	١,٥ مليون، يشكّلون ١٤٪ من عدد السكان، و٨٠٪ من اللّاجئين يعيشون خارج المخيّمات
لبنان	١,٣ مليون، يشكّلون ٣٧٪ من عدد السكان، فيما ١٨٪ من اللّاجئين يقطنون في مخيّمات يبلغ عدد خيامها ١٩٠٠ خيمة عشوائية
ماراتون جنيف	
جنيف ١	عقد في ٣٠ حزيران ٢٠١٢ وأسفر عن إصدار بيان جنيف ١
جنيف٢	في ٢٢ كانون الثاني ٢٠١٤، أفضى إلى نزع سلاح النظام الكيميائي
جنيف ٣	كانون الثاني ٢٠١٦
جنيف ٤	عقد في ٢٣ شباط الى ٣ آذار ٢٠١٧
جنيف ٥	خلال٢٣ إلى ٣١ آذار ٢٠١٧
جنيف ٦	من ١٦ إلى ١٩ أيار ٢٠١٧
المسار الموازي/ أستانا عاصمة كازخستان	
الجولة الأولى/ كانون الثاني ٢٠١٧	
الجولة الثانية/ شباط ٢٠١٧	
الجولة الثالثة/ آذار ٢٠١٧	
المبعوثون الأمميّون	
كوفي عنان	قدّم خطّة النقاط الستّ القاضية بإيقاف الأعمال القتالية، وضمان الانتقال السياسي.
عُين من ٢٣ شباط إلى ٣١ آب ٢٠١٢	
الأخضر الإبراهيمي	صاحب فكرة صانع الملك
عُيّن في آب ٢٠١٢، واستقال في أيار ٢٠١٤	
ستيفان دي ميستورا	يدير مفاوضات السلات الأربع
عُيّن في ١٠ تموز ٢٠١٤، ومازال مستمرّاً	
قوى خارجيّة	
تشكيل التحالف الدولي للحرب على الإرهاب الذي بدأ غاراته في سوريا أيلول ٢٠١٤	
تشكيل التحالف الدولي للحرب على الإرهاب الذي بدأ غاراته في سوريا أيلول ٢٠١٤	

فدوى سليمان الفنانة والثائرة.. إلى أين؟

فريق صور

سبع سنوات من الثورة السورية خاضتها مناضلة وثائرة حقيقية تطالب بالحرية من الاستبداد، لم تساوم على المبادئ التي آمنت بها في حين كان يسقط الآخرون من حولها في مستنقع الحرب والتسليح والنزوع إلى الطائفية، نعم رحلت وهي نظيفة اليد والضمير.

إنها الفنانة السورية فدوى سليمان التي انضمت إلى المظاهرات السلمية ضد النظام السوري منذ أيامها الأولى تطالب بالحرية.

فدوى سليمان من مواليد حلب ١٧ مايو/أيار ١٩٧٠ تخرّجت من المعهد العالي للفنون المسرحية، وشاركت في العديد من أعمال درامية، منها مسلسل «أمل» و«الشقيقات» و«هوى بحري» و«نساء صغيرات» و«الطويبي» و«طيبون جداً». سينمائياً كان لها ظهور في فيلم «نسيم الروح» وشاركت في مسرحيات كثيرة وأعمال إذاعية.

في ٢٠١٢ انتقلت للعيش في باريس بعد أن أصبح من الصعب عليها البقاء في سوريا، وبدأت بالمشاركة بفاعلية في التظاهرات المناهضة للنظام التي كانت تخرج في باريس.

أثناء تواجدها في باريس شاركت في تقديم فيلم من إخراج الشاب السوري رامي حسّون في إطار مهرجان كان السينمائي عام ٢٠١٦ والذي يحمل عنوان «رسالة إلى» قُدّم في إطار زاوية الأفلام القصيرة في سوق كان السينمائي في قصر المهرجانات، والفيلم عبارة عن ١٥ دقيقة من الرقص والشعر حيث ترقص ثلاثة فتيات فرنسيات بينما تقدّم فدوى سليمان شعراً يلخص ما جرى في بلدها ويتحدث عن الحرب في سوريا وبشاعتها وعن دور نظام الأسد في تدمير البلد.

عانت في سنواتها الأخيرة من مرض السرطان حيث فارقت الحياة بعد صراع طويل مع المرض في فرنسا يوم الخميس ١٧ آب ٢٠١٧.

منذ إعلان نبأ وفاة الفنانة سليمان، نعاها ناشطون سوريون ومثقفون وتيارات سياسية معارضة على مختلف توجهاتهم، معبّرين عن حزنهم الشديد لرحيلها، عارضين بعضاً من مواقفها المناهضة لنظام السوري، عبر فيديو أو منشور..

العرض المسرحي السوري «اختطاف»

ابتعاد عن البحث وسخرية سوداء تقف عند البديهيات

أليسار علي

تستمرّ عروض المسرح السورية تحت رعاية مديرية المسارح والموسيقى، فنّياً وفكرياً، فيلعب النادر من المسرحيين السوريين في هذه الحالة، لعبتهم الرمزية المواربة، ويقيمون عروضاً يمكن أن تندرج تحت إطار العروض المسرحية الجيّدة، كي لا يندرجوا تحت ظلٍّ لا رغبة لهم به، أمّا باقي العروض فتقدّم أغلبها لتحقيق أهداف تزيد وباء هذه المديرية بكل المقاييس الفنية والفكرية وخاصة السياسية.

«اختطاف» عرضٌ، انطلق مؤخّراً بمناسبة يوم المسرح العالمي ٢٠١٧/٣/٢٧م، على خشبة مسرح الحمراء بدمشق، وتستمرّ عروضه في بعض المحافظات السورية حتى الآن (حمص، اللاذقية، طرطوس). «اختطف» ممثّلينَ غالبيّتهم من خريجي المعهد العالي للفنون المسرحية، للعمل ضمن إطار ربما يدركه بعضهم أو لا، خاصة مع ظروف عملهم السيّئة كخريجين جدد في الوضع الصعب في الداخل السوري حيّاتياً وفنياً (لوريس قزق، نجاح مختار، لجين إسماعيل، توليب حمودة، انطوان شهيد، خوشناف ظاظا). أخرج العمل «أيمن زيدان» وأعدّه المخرج بالاشتراك مع «محمود الجعفوري» عن نصّ للإيطالي (داريوفو ١٩٢٦-٢٠١٦م).

قصّة العرض: مستندة على حادثة واقعية، وهي اختطاف مجموعة إرهابية لرئيس وزراء إيطاليا والتصريح عن تسليمه مقابل ثلاثة إرهابيين، وعدم استجابة الحكومة لطلب الإرهاب وإعدام رئيس الوزراء من قبل الإرهابيين نتيجة لذلك. إلا أن العرض يبدّل شخصية المُختطَف إلى رجل أعمال واقتصاد، فتتغيّر النهاية بالطبع! وينقذ رجل الأعمال ثلاثون إرهابياً بدلاً عن الثلاثة، وينتصر الاقتصاد في التحكّم بالسياسة بجدارة.

هذه الحقيقة المرّة تسنح للكوميديا السوداء أن تسخر من الواقع، فيتجلّى العرض مشبعاً بالكوميديا، وتلعب الشخصيات دور المهرّج عن طريق الإضحاك من خلال المبالغة في الأداء بالحركة أو الكلام ومن خلال إبراز صفات معيّنة مثل البلاهة والغباء والخداع، إضافة إلى ارتداء الشخصيات لأقنعة وإبراز أدائها الجسدي والابتعاد عن العالم النفسي الواقعي الذي تعبّر عنه ملامح الوجه، لتشكّل أنماطاً مختلفة من المجتمع، فلا تغيب ملامح كوميديا ديلارتيه عن العرض، بالمقابل لا يكتفي المخرج بذلك بل يلجأ إلى التغريب البريشتي عبر هذا القناع نفسه، وعبر دخول بعض الشخصيات حيّز الفرجة من حيّز الجمهور، ورواية الشخصيات للحكاية بشكل سرديّ يتغيّر فيه نوع الخطاب من أداء الممثل لدوره إلى رواية ومخاطبة الجمهور فينقطع التسلسل برواية الحكاية.

التغريب هو تقنية تقوم على إبعاد الواقع المصوّر بحيث يتبدّى الموضوع من خلال منظار جديد، يُظهر ما كان خفيّاً أو يلفت النظر إلى ما صار مألوفاً فيه لكثرة استعماله. استخدم شكلوفسكي الذي أطلق مصطلح التغريب هذا التعبير كمبدأ جمالي ينطبق على الفن والأدب، وهو يهدف إلى تعديل استقبال المتلقّي للصورة الفنية من خلال إبراز «الصنعة» وتحقيق تفرّد معيّن للمادة الأولية.

وهو في المسرح يتحقّق من خلال التقنيات التي تكسر الإيهام وتكشف آلية البناء الدرامي، مما يجعل المتفرجّ يركّز انتباهه على كيفية صنع الإيهام بدلاً من الاستغراق فيه.

> يلجأ المخرج إلى التغريب البريشتي عبر دخول بعض الشخصيات حيّز الفرجة من حيّز الجمهور، ورواية الشخصيات للحكاية بشكل سرديّ يتغيّر فيه نوع الخطاب من أداء الممثل لدوره إلى رواية ومخاطبة الجمهور

بينما عند بريشت لم يكن التغريب مبدأ جمالياً فقط، وإنما موقفاً أيديولوجياً وسياسياً، من خلال ربط التغريب بمقاومة الاستلاب الاجتماعي. وبالتالي ربط هذا المفهوم بمعنى أكثر شمولية وفعالية، وعليه فهناك مسؤولية أيديولوجية حملها بريشت وحـاول نقلها لمتلقيه. وإن هدف التكنيك ذا التأثير التغريبي يتلخّص في الإيحاء للمشاهد بعلاقة تحليلية انتقادية تجاه الأحداث المصورة أمّا الوسائل فتكون فنية.

لا بد أن استخدام عناصر التغريب له أهميته في التحريض الفكري والسياسي، واستخدام الكوميديا الساخرة لها أهميتها أيضاً في السخرية السوداء من كل ما يحدث بعالم السياسة، وإن خيار المخرج في إدخال المنهجين في عرض واحد، في طرحه لموضوعة واحدة استند عليها العرض، ألا وهي «تحكّم الاقتصاد بالسياسة»، ومجرّد طرح حدث استبدال رئيس الـوزراء برجل أعمال عن طريق السرد في بداية العرض، رسم توقّع نهاية مختلفة، وفي نهاية العرض قدّمت النتيجة المتوقّعة على لسان بطل المسرحية. فما من غموض انتظر المتلقي أن يفسر الوضوح التام ليكتشف النهاية، ووسائل كسر الإيهام المستخدمة لم تولّد تغريباً للأحداث اليومية، ولم تجعلها غريبة ومثيرة للدهشة، وباعثة على التأمّل والتفكير، فيخرج المتلقي من العرض المسرحي، حاملاً في جعبته الفكرية فكرة واحدة لا غير وهي تحكّم رأس المال بالسياسة، فما من تحريض لأي أفكار تثير الأسئلة في ذهن المتلقي وتحثّ فكره على إيجاد أجوبة بعد سدل الستار أبعد من الجواب الذي بدأ وختم به المخرج زيدان.

وأمام هذه النتيجة المطروحة، المتلازمة مع سخرية مُـرّة من تفاصيل يومية في الحياة السورية (الدولاب، نفخوه، بطاقة حزبية، دفتر التجنيد....الخ) ونكات محلية ومنها جنسية للإضحاك، ومفردات عامية بين الحين والآخر! هل يقترب العرض في الإيحاء للمشاهد بعلاقة تحليلية انتقادية سياسية أبعد من اليومية البديهية؟ وهل يقترب في التحليل من عمق أكبر مما يدركه المشاهد في الواقع؟ أو في مسبّبات هذا الواقع؟ سواء أفكار جديدة حول الوضع الـسوري، أو حتى إعـادة التفكير بالمألوف

والبحث فيه؟ خاصة وإن إضافة تفاصيل من الشارع السوري يعني مقاطعة الحكاية الإيطالية مع الحياة السورية.

تـبرز هنا أسئلة عديدة: هل نجح المخرج باختيار مناهج العرض المسرحي التي استخدمها في عرضه ليثبت فكرة باتت بديهية في الوقت الحالي، وخاصة أن العرض يقام على خشبة سورية تعاني من الحرب مدة ٧ أعوام؟ أم إن الإعداد كان يجب أن ينحو منحىً دراماتورجي أكبر في البحث عن المعنى المـراد تقديمه في العرض؟ أم إن المخرج اختار افتتاح عرض مسرحي له في يوم المسرح العالمي دون التفكير في تقديم ما هو أبعد مما عمل عليه كاستمرار لعروض المسرح دون الاهتمام بما تضيفه هذه العروض؟

هناك إصرار بتكرار محاولات الاستمرار بتقديم العروض المسرحية السورية، وتسطيح ما تقدّمه من الناحية الفكرية، وخاصة ضمن إطار الحرب السورية وتحليل مضامينها، على الرغم من المحاولة الجاهدة للحديث بالسياسية، ولكن بهذا الشكل الهشّ! في أغلب عروض مديرية المسارح والموسيقى.

فيلم منظر في السديم Landscape in the Mist
حكاية مخاض من الألم والعتمة إلى نهارات الضوء والحقيقة

رشا الصالح

هكذا كحكاية كل الأشياء التي تبدأ دائماً من الظلمة وتنتهي بلقاء الضوء، وإن كان الطريق إليه لا مرئياً، عبر اجتياز اختبارات عدة توصل إلى النتيجة المبتغاة مانحة الحكمة للمتعلم الذي اختبر العبور به، وإن لم تكن بالشكل المرغوب ذاته، فتنطلق من هنا مسيرة السرد لقصة المشهد الذي يختزل الكلام والعبارات، ليتحدث لنا عن المشاعر ببلاغة حالمة وبكل احترافية، مغدقة هي الأخرى توصيفاً تكاملياً لفحوى العبر التي تستنبط هذه المرة وبكل خصوصية من الأفكار البريئة لدى أطفال بسطاء، همهم الوحيد إيجاد النصف المفقود من حياتهم وهو الأب، للفوز بشعور الحنان الأبوي الذي يحقق التوازن العاطفي والفكري، وذلك في منظر سينمائي بالغ الإتقان، قدمه المخرج اليوناني (ثيو انجيلوبولس) في فيلمه (منظر في السديم) والذي يشكل الجزء الثالث من ثلاثية أفلامه: رحلة إلى كثيرا ومربي النحل، التي تتصف بالتفرد السينمائي في الطرح لمواضيع شتى تجعل الوصول إلى الضوء هو كل هاجسها وغايتها والتي حظيت على أثر وقعها في النفوس جوائزاً عدة، فنال جائزة مهرجان فينيسيا كأفضل فيلم وإلى جائزة النقاد العالميين وجائزة مهرجان شيكاغو كأفضل فيلم وأفضل تصوير وافضل فيلم أوروبي لعام ١٩٨٨.

فيلم منظر في السديم يروي قصة واقعية خرافية تبتدع الأسطورة وتشق طريقها في الضباب لتجتاز سديمه بحثاً عن الجذور في رحلة أقرب ما تكون إلى سفر طويل تغدو محاوره دروساً عميقةً مكتسبةً من الحياة بأوجهها التي شكلتها دهشة الاكتشاف والبحث، البحث عن مجهول أقرب ما يكون إلى الخيال، الرمز فيه هو النور، نور الخلاص المنبثق من كينونة الظلمة وصلبها، الذي يعلم بتفاصيله وحيثيات تجاربه أهمية الإيمان بذوات الباحثين عنه وعن بصائر عوالمهم الخاصة التي تصنع مقدرة على رؤية الأشياء اللا مرئية الغير ظاهرة للناظر من الوهلة الأولى، والتي تستدعي الوقوف عند أضداد الأشياء والمعاني المتناقضة في تشكلها، الحياة والموت، الفرح والانكسار، الأكاذيب والحقائق، الجمال والتدمير.

يحكي الفيلم عن صبية في الحادية عشرة من عمرها تدعى (فاولا) وشقيقها وهوطفل في الخامسة يدعى (الكسندر) يعلمان من أمهما بأن أبيهما الغائب، الذي لم يرياه ولا يعرفانه أبدا، يعمل في ألمانيا، فيقرران السفر إليه دون علم أمهما، الأب الذي كان محض اختلاق من الأم التي لم ترد أن تخبرهما بأنهما غير

شرعيين من خلال مايبوح به خال الطفلين لشخص آخر يؤكد على عدم وجود هذا الأب الافتراضي لا بالمانيا ولا خارجها.

يفتتح الفيلم بمشهد في محطة القطار- نرى الشاشة مظلمة تماماً ثم نتنقل لنسمع صوت الصبية وهي تروي لأخيها أسطورة الكون وحقيقة وجوده بمفردات بسيطة تندرج خلفها رمزية المعنى وأهميته، وهي القصة التي روتها له مرارا بناء على طلبه: (في البدء كان الظلام، ثم كان هناك الضوء. وانفصل الضوء عن الظلام، وانفصلت الأرض عن البحر، وخُلقت الأنهار، والبحيرات، والجبال، ثم الزهور والأشجار.. والحيوانات والطيور، أنها أمي).

هذا المشهد يدور في الظلام، ثم يتسلل الضوء مع انفتاح الباب وشعورنا بحضور الأم التي لا نراها. الصغيران يتظاهران بالنوم. ينغلق الباب وتبتعد الأم..

الأم التي لانراها ولانسمعها على الإطلاق. فالأم رمزت إلى العتمة من خلال ابتعاد الطفلين عنها عاطفياً وجسدياً في محاولتهم المستمرة حتى في خيالهم لقاء الأب الذي شكل الضوء المنشود.

تدور حوارات مقتضبة ين الطفلين توغل في العمق من خلال ثلاث رسائل صوتية يقصهما البطلين رسائل مفعمة بالحنين والخيبة، الأمل واليأس، الوجع والتفاؤل. والتي كانت وسيلة المخرج لإيصال مشاعر الأطفال إلى الجمهور ببراعة.

ينطلق الصغيران في رحلة نحو إيجاد الأب ويتنقلان من مكان إلى آخر بالقطارات، بالسيارات، بالشاحنات. إنهما لايعرفان طبيعة مايشاهدانه ومايلتقيانه أمامهما فالأشياء والمشاهدات غير مألوفة لهما وأمور تحتاج الكثير من الشرح والتوضيح.

تقول الصبية في رسالتها الصوتية: «يا له من عالم غريب. كلمات وإيمـاءات لا نفهمها. والليل الذي يخيفنا. مع ذلك فنحن سعيدان لأننا نتحرك إلى الأمام».

وفي بعد خاص للصورة أشبه بالسريالي يضعنا المخرج ثيو أمام عدة مشاهد رمزية بمدة لاتتجاوز عشر دقائق كإسقاط لحالة الطفلين اللذان تحكمها عدة مشاعر وانفعالات تصور البنية النفسية وتداعياتها في عالم غامض يخوضان بهما تجربة الحياة باكراً ومنها: ثلج يتساقط فجأة كظاهرة إعجازية خارقة، حالة انتحار في مخفر، عروس تبكي ليلة زفافها، حصان ميت متروك في الساحة، فرقة من الممثلين الجوالين الذين يبحثون عن مسرح وعن جمهور، يد ضخمة من الرخام مقطوعة السبابة تُنتشل من البحر وكانها واقع تم تشويهه.

يتابع الطفلان مسيرهما ويتعرضان لكثير من الجوع والحرمان، إلى أن يلتقيا أوريستي الذي يقلهما في شاحنته موحياً لهم بالأمان بقوله «أنا لا آكل الأطفال» إلا أنه كان ذئباً مفترساً عمد على اغتصاب الفتاة في الجزء الخلفي من سيارته بمشهد صامت يعتبر من أكثر المشاهد قساوة، يغدق وجه فولا بالدمع الذي يعبر عن فقدان برائتها ونظرة الثقة العذرية بالعالم من حولها، ينتابها اليأس، حيث تمر بتحولات غريبة من مشاعر الحب الأبوي والطفولي بلقاء أوريستي إلى عذابات المصير والخذلان.

يستمر المخرج في طرحه ليصل إلى مشهد مفتوح ختامي يوحي أن الضباب زائل شانه شان الواقع المرير المؤلم بتفاصيله المختلفة من حروب وتداعياتها التي لابد من خلاصها والقائمين عليها والموحين بسديمها، فنجد الطفلين من عمق السديم يعانقان شجرة ينبثق منها الضوء، فهما بالحقيقة لايجدان الأب إلا أنهما اكتسبا تجربة الرحلة مؤكداً بذلك على بداية لمرحلة جديدة كلفت الكثير لوصولها إلا أن في النهاية سينبثق النور بعد المخاض، مؤكداً بفيلمه منظر في السديم في عبقريته في الإفلات من مطبات السرد الساذج والاعتماد على استخلاص المعاني من خلال الصورة والرمز التي تشكل طريقة فريدة في المزج بين مفردات والواقع وإسقاطات الأسطورة.

الطيب تيزيني.. مرة ثانية يا أبي

نبيل الملحم

وإن كنّا ننظر إلى التاريخ من ثقب الباب، حسناً نفعل، فالفضاءات، كل الفضاءات، لم تكن ليتسنّى أن تدخل من الباب المفتوح، فلا أبواب، وكنّا ذات فجر، قد قرأناك وأنت تكتب في «التراث والثورة»، وتحاورنا كما لو كنّا سنذهب إلى الهاوية.. وكنت وحدك، فيما كائنات الفولاذ تسرقنا، وكنت تبحث عن الملائكة فينا، نحن المصابين بلوثة الأبالسة.

حدث، ولأول مرة أن وقفنا على قدم واحدة، بين مزدحمين على مدرج جامعة دمشق، لنصغي إلى نصف كلامك، نعم نصفه، فقد ادّخرت أنت من الكلام، ربما ربعه، وأخذ الضجيج الربع الثاني، ليتبقّى منك، نصفك، وكان علينا أن نفهم منه، ما سيحل بنا والدبّابات جاهزة لانتزاع أظافرنا.

وكنّا نصفنا، مشطورين ما بين كلام البخاري، وما بين تشي غيفارا، وما بينهما لم يكن قد ظهر توماس جيفرسون بعد، ما بينهما كانت العباءة الوهابية تقابل العباءة الخمينية، واستطراداً كانت حرب الطوائف تخجل من إعلان نفسها، وأنت الرجل الذي أحال التاريخ إلى صراع الطبقات، بمن فيه ذاك التاريخ الجاثم مابين ولائم الدولة الناشئة، (أو الناتئة لافرق)، وقد استولدت دستورها من المقدِّس، فيما حوّلت الحياة، كل الحياة إلى مدنّس، ليكون حضور الجلاّد أقوى من حضور الله فينا، وكمن يدخل بقدمين حافيين إلى بيت أشواكنا، كنت تدخل، لننساك نحن الذين لم نكن يوماً لنخال أننا محكومون بالعقاب الإلهي إن نسينا أنك قلتها لنا، لا في اللحظة الخاطئة.. لا.. في اللحظة التي كان علينا أن نصغي لك فيها، وكان محمد سعيد البوطي يستعين عليك بالسفّاح، فيما كانت امبراطورية يوسف القرضاوي تأخذ مدّاها ومدّها من حروب النجوم، وقد رسم لها هنري كيسنجر مكاناً على الخطوط الأمامية في جبهاته، وكنّا نلعب مع ألف ليلة وليلة، وكأنما شهرزاد قد تمدّدت فينا، وقد تناهت إلينا قهقهاتها، والتاريخ، يحرس صباها، وكأنما، ولشدّة ازدرائها لنا، لم تكن لتعطّر قدميها حين ترمي باظافرها في وجوهنا.

- وانتقلنا.. نعم أيها السيد الجليل انتقلنا، من قال أننا لم ننتقل في هذا الوقت شديد الوعورة؟

وكنت بيننا.. متظاهراً، صامتاً، ناطقاً، متأملاً، وفي نهايات اللحظة «باكياً».. ونسيناك، وقد انتقلنا من الثائر، إلى المهرّج، ومن إنقاذ البلاد إلى إغراقها، ومن شفافية الحلم، إلى فجاجة المُضارِب، ومن مركز اللحظة، إلى قاع التاريخ، ومن ملامسة الوجع، إلى سكون المقبرة، ومن الحبّ، إلى ليالينا الباردة، وكان منّا من تحت الأنقاض وفينا من يبيت في لاس فيغاس، الأول تحت أنقاض الثورة المسروقة، والثاني سارقها، وهانحن ننام في العتمة، حتى افترقنا عن ألف ليلة وليلة، تلك التي تبهج خيالنا، دون أن نتوقع منها أن تكون جزءاً من محنتنا.

كيف حالك أيها السيد؟ ضاحك، مغتبط، حزين، متألم، مقتول، تنتظر ما لايأتي؟ كيف حالك أيها السيد وقد ازاحك السيف منّا، وأزاحك المكان منا، وقايضناك يوم انفتحت البوابة بالخناجر، وبغابات الديناميت التي قتلتنا يوم كنت تعرف أنها ستكون كذلك، ويوم لم نصغ إليك، ويوم استيقظت غرائزنا لتملأ المسرح.. ورجعت وحدك، وكنت وحدك.

كيف حالك أيها السيد، ألم تملّ من صلاحية الحياة، من تفاصيل اليوم، الساعة، الثواني؟

- ذات يوم قلت لك: يا أبي.

ومع كل يوم سأقول لك: يا أبي.

أبي الذي لم يُبَع لأحد، لم يقتنه أحد، لم يتجوّل في قصر أحد، واكتفى بلؤلؤ دمعته.

سأقول لك يا أبي، ومن واجبك في حال كهذه أن تصغي:

- لست من الرخام، ولست للوردة، كل ما تبقّى لي أن أتكئ على كتفك، المتعب، المنكسر، الذي يمشي إلى نهاياته، ونهاياتي مؤجلة.. مؤجلة، لا كما أريد لها أن تكون، كل ما في الأمر أن الصُدفة البيولوجية قد شاءت لها أن تكون مؤجلة.

أنا حزين، ووحدي، أرغب في أن ألملم دمعتك ثم وما قبل الخطوة الأخيرة تلملم دمعتي.

أرجـوك.. عش أكثر.. كي تشهد على تدهورنا أكثر.. لن اكون خاتماً في اصبعك، سأبقى ذاك الصبي الشقي الذي يطيّر الحمام من قبّعته.

ذات يوم قلتها لك، ولكنني اللحظة سأعترف:

- كل الاعتذار منك.. في قبعاتنا ثعابين يا أبي.

#منقدر

حملة «منقدر» حملة إعلامية تفاعلية سورية تطلقها شبكة أمان.

حملة «منقدر» هي مساحة للأفراد والمنظمات السورية للتعبير عما يتمنون وما سيقومون بعمله من أجل بناء سوريا.

«منقدر» حملة من أجل التركيز على الطاقة المنتجة الإيجابية وقيم التعايش السلمي وقبول الآخر التي هي جزء من قيم المجتمع السوري.

انضم إلى حملة «منقدر» الإعلامية بمشاركتنا: «شو بتقدر تعمل منشان سوريا؟» بمفردك أو مع مجموعتك، وشاركنا الجواب بأحد الطرق التالية على إيميل الشبكة:

Amannet.peace@gmail.com

١- إرسال الجواب على الإيميل أو على صفحة الفيسبوك.

٢- صورة فوتوغرافية تحمل الإجابة.

٣- مقطع فيديو صغير تصور فيه نفسك وجوابك على السؤال.

انضم إلى حملة «منقدر» التفاعلية من خلال تواصلك عبر الإيميل أو على صفحة الفيسبوك لتتعرف على النشاطات المقامة ضمن حملة «منقدر» في منطقتك.

شبكة أمان هي شبكة سورية من شخصيات ومنظمات فاعلة ومؤثرة ممن يعملون لبناء السلم المحلي والوطني في سوريا، ويعملون بقيم: السلم، والحرية، والإنسانية، والمصداقية، والشفافية، وقبول الآخر والعدالة، وتقوم الشبكة بحل النزاعات وتجنبها وإدارتها.

تساهم شبكة أمان في بناء السلم الوطني في سوريا من خلال تعزيز السلم المحلي في مناطق مختلفة من سوريا.

https://www.facebook.com/aman.network.peace

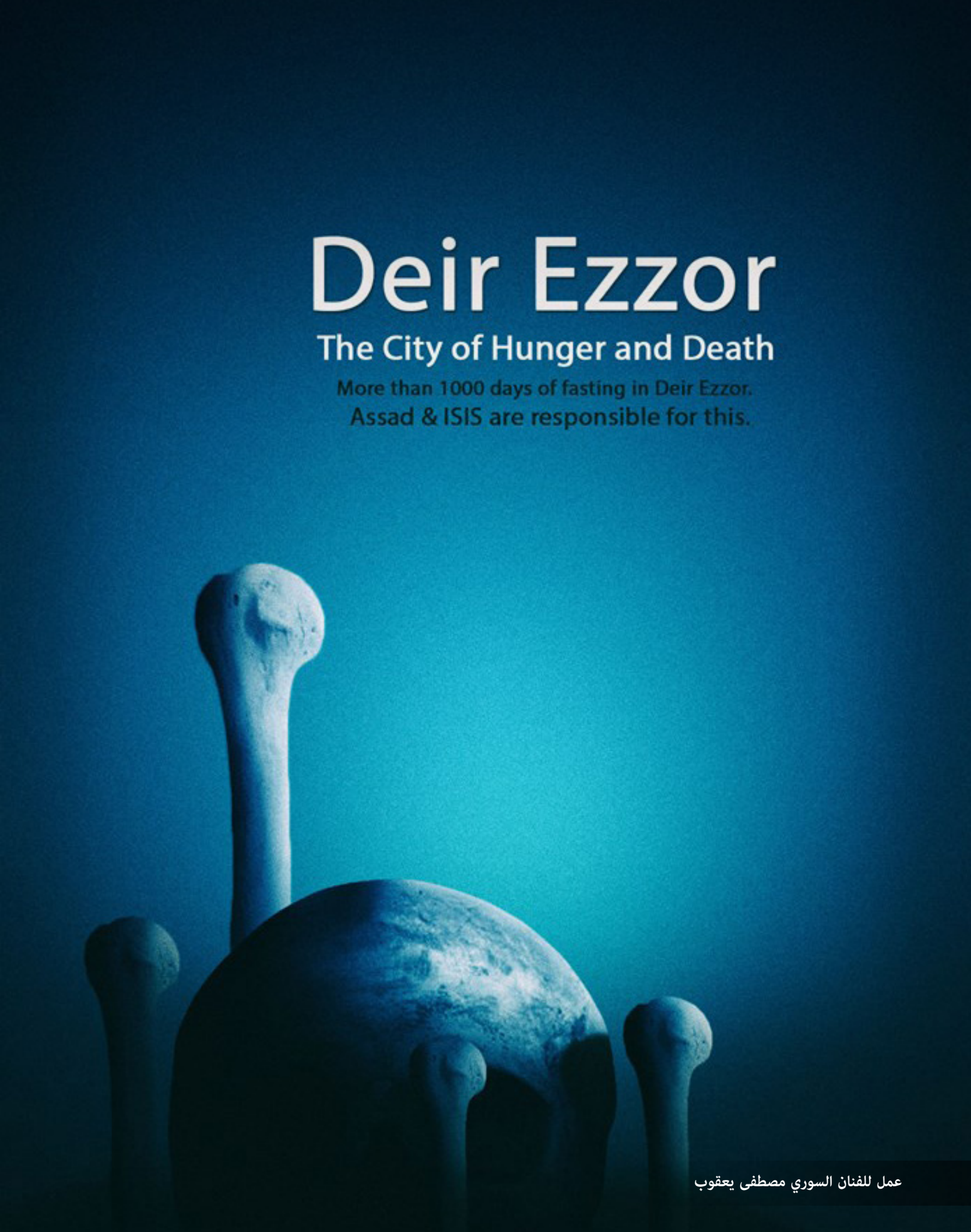

عمل للفنان السوري مصطفى يعقوب